

المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط

مقال

الشباب بوصفه الوعد والوعيد:
نشوء سيكولوجية المراهقة في مصر ما بعد الحرب

أمنية الشاكري

نوفمبر ٢٠١١

ترجمة: سامح سمير

تدقيق لغوي: حسام نايل

المرأة والذاكرة للترجمة والنشر

القاهرة ٢٠١٣

الشباب بوصفه الوعد والوعيد:

نشوء سيكولوجية المراهقة في مصر ما بعد الحرب*

ملخص

نشأ خطاب عام حول "أزمة الشباب" في مصر في الثلاثينيات من القرن الماضي جزئياً بوصفه رد فعل للمظاهرات الطلابية واسعة النطاق في عامي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ التي أرهصت بظهور صورة الشباب بوصفهم ذواتاً سياسية متمردة. وكان الخوف من الشباب بوصفهم ذواتاً سياسية وجنسية جامحة إيذاناً بنشوء خطاب حول سيكولوجية المراهق. وبحلول منتصف الأربعينيات، تحولت "المراهقة" إلى مقولة تحليلية متميزة داخل الحيز التخصصي المؤسس حديثاً لعلم النفس وأعيد تشكيلها بوصفها مرحلة نفسية للضبط الاجتماعي والكبت الجنسي والتفسخ الوجودي. وأصبحت المراهقة المدركة بوصفها زمانية (temporality) جماعية وجوانية (interiority) فردية غير مسيّسة -مرحلة تتسم بالتقلب وعدم الاستقرار وترتبط بفكرة الجنسانية في التحليل النفسي بوصفها طاقة خام ليبيدية، لتحل محل زمانيات وجغرافيات جماعية أخرى. تلاحت إذن تشكيلات خطابية جديدة، على سبيل المثال تلك الخاصة بعلم نفس متمحور حول الدوافع الجنسية اللاواعية والجوانية عميقة الغور، مع أنماط اجتماعية جديدة، مثل "الحدث الجانح" (juvenile delinquent)، حول صورة المراهقة في مصر ما بعد الحرب.

فيما قبل أحداث ٢٥ يناير، استحوذت قضية "الشباب العربي" على خيال جمهور محلي ودولي مهتم بأخطار الانفجار الديموغرافي للشباب، راح يعير عن رأيه على نحو متزايد^١. لقد جادل الباحثون ببصيرة ثاقبة بأن الشباب الشرق الأوسطي ينوء تحت وطأة "التوقعات واللغات التي أنتجتها صورة "الشباب" كما يرسمها خيال النخبة"^٢. لقد كان الشباب المصري نموذجاً مثاليًا لتلك العملية -مدمومين من شيوخهم ومواجهين على نحو متزايد بمشهد سياسي قمعي حيث كان

* Omnia El Shakry, "Youth as Peril and Promise: The Emergence of Adolescent Psychology in Postwar Egypt", in *International Journal of Middle East Studies*, 43:4 (November 2011), 591-610.

حتى نشاط التدوين موسومًا بميسم التحريض الجنسي والسياسي، وحيث طفت على السطح مخاوف اجتماعية، على سبيل المثال تلك المتعلقة بالقانون العام أو الزواج العرفي، في طوفان من النصوص التربوية، والصحفية والسيكولوجية^٣. ظهر ذلك للعيان في مشادات خطابية بين خطاب عام ذي نزعة أخلاقية راح يندد بالشباب المعاصر بسبب سلبيته السياسية وممارساته الجنسية "غير المشروعة" وفشله في الاعتراف بالحقائق الاجتماعية والاقتصادية للحياة اليومية. لكن مع الاندلاع الدراماتيكي لما سمي بثورة الشباب، تجاوز الشباب المصري المقولات المفهومية لمواطنيهم، وعلماء الاجتماع، والمراقبين الغربيين، وبرهنوا بما لا يدع مجالاً للشك على أن الشباب بوصفهم ذواتًا وفاعلين تاريخيين، قد جرى تكوينهم بواسطة المشاريع والمقولات الانضباطية للخطاب العام والعلوم الاجتماعية، لكن دون أن يكون بالإمكان اختزالهم إليها.

إن الخطاب الذي تناول الشباب بوصفهم ذواتًا جنسية وسياسية منذرة بالخطر يبين بجلاء مرونة مقولات التحليل في العلوم الاجتماعية والمشاريع السياسية التي سعت إلى ترويض الشباب باعتبارهم ذواتًا وطنية صالحة. وسعيًا إلى فهم أصل تلك العملية وتطوراتها، يعود هذا المقال إلى لحظة سابقة من الخطاب العام حول أزمة الشباب، ويقوم بتحليل سلسلة من كتابات العلوم الاجتماعية في مصر في الفترة من منتصف الثلاثينيات حتى مطلع الخمسينيات. خرج هذا البحث من خلال مشروع تعاوني، هو "مجموعة عمل الأسر العربية" (AFWG)، يهدف إلى فهم أهمية الشباب في الخطاب العام في مصر وغيرها من البلدان فيالعالم العربي^٤.

تتمثل أطروحتي في أنه ثمة خطاب حول "أزمة الشباب" ظهر في مصر الثلاثينيات، جزئيًا باعتباره رد فعل على المظاهرات واسعة النطاق في عامي ١٩٣٥ و١٩٣٦، التي أذنت بظهور صورة الشباب بوصفهم ذواتًا سياسية متمردة. ومن ثم أعيد صياغة مفهوم الشباب بوصفهم مشكلة في حاجة إلى تنظيم وتحكم وباعتبارهم موضوعًا ضروريًا للدراسة. لقد أرهص الخوف من الشباب بوصفهم ذواتًا سياسية وجنسية جامحة بظهور خطاب علم نفس المراهق. وبحلول منتصف الأربعينيات، كانت "المراهقة" قد تحولت إلى مقولة متميزة داخل الحيز التخصصي المؤسس حديثًا لعلم النفس وأعيد تشكيلها باعتبارها مرحلة نفسية للتكيف الاجتماعي، والكبت الجنسي، والتفكك الوجودي. وبالفعل، وبالتناغم مع نظريات علم الاجتماع المعاصر، اعتُبرت الجنسية بمثابة حجر الزاوية في علم نفس المراهق. وأصبحت المراهقة -المدركة بوصفها زمانية جماعية وجوانية فردية غير ميسسة- ساحة تتسم بالتقلب وعدم الاستقرار وتتصل بمفهوم الجنسية في التحليل النفسي بوصفها طاقة خام لبيدوية، وحلت محل زمانيات جماعية وجغرافيات أخرى، بينما سمحت بإقحام مشاريع أكاديمية مرتبطة بالعلوم الاجتماعية.

وهكذا ظهر "المراهق" بوصفه مقولة تحليلية خاصة بالعلوم الاجتماعية ترسم الحدود الفاصلة بين أدبيات علم النفس والكتابات الأكثر شعبية في الصحافة السائدة التي تخاطب "الشباب"^٥. وجرى توجيه عملية إنشاء المراهق باعتباره ذاتاً نفسية نحو نمط معين من عملية تكوين الذات (أو التذويت) (subjectification) انطوت على تطوير جوانية نفسية غير ميسّسة ومحاولة لترويض "طاقة الشباب التي بلا حدود" عبر إنتاج نوات معيارية أخلاقية، غيرية الجنسية، ومتشكلة بناءً على النوع، ومنخرطة في العناية بصحة النفس. وهكذا، كان تشكيل ذاتية المراهق عملية متشكلة إلى حد كبير بأبعاد النوع (أو مُنوّعة gendered)، وجرى صياغة مقولة المراهق بصورة أساسية بوصفها مشكلة تتعلق بالذكورة، وبخاصة في حالة المراهق الجانح اجتماعياً^٦. ومع ذلك، ظلت النظرة إلى الانحراف الجنسي للمراهق ترى هذا الانحراف مشكلة تتعلق بالجنسين معاً، فاستولت الأنوثة على الاهتمام، هي الأخرى، وبخاصة في الحالات التي كان يتم فيها انتهاك أعراف الجنسية الغيرية الملزمة.

كانت وجهات النظر شديدة التباين حول سيكولوجية المراهق في فترة ما بعد الحرب، في حقيقة الأمر، متماثلة بشكل لافت في تأكيدها على الدوافع الجنسية اللاواعية الطاغية التي تهدد بالإخلال بتوازن ذات المراهق ونفسيته. وفي سعيها إلى حل أزمة الشباب بوصفها أزمة ضبط نفس-جنساني (psychosexual) أصبحت المراهقة موضوع "مواعمة بين طموحات المتخصصين، والاهتمامات السياسية للسلطات، والمخاوف الاجتماعية لأصحاب النفوذ"^٧. تلاحمت إذن تشكيلات خطابية جديدة لعلم نفس متمحور حول الدوافع الجنسية اللاواعية، وجوانية عميقة الغور، مع أنماط اجتماعية جديدة، مثل "الحدث الجانح"، حول الصورة النمطية للمراهقة. وعضواً عن القيام بإعادة إنشاء "التجربة" التاريخية للمراهقة أو الشباب، سأقوم باستكشاف الأطر الخطابية التي جرى بداخلها بلورة مسألة الشباب في خطابات العلوم الاجتماعية في مصر. بالطبع ليس المقصود بهذا الإحياء بأن مثل تلك الخطابات تستنفذ نطاق فهمنا، بل لفت إلى المعاني المتغيرة لمقولة الشباب في المجال العام^٨.

الشباب بوصفه فئة في أزمة

شأن انبثاق الطفولة في القرن التاسع عشر الطويل، كان انبثاق الشباب في القرن العشرين ظاهرة محلية ودولية في آن معاً. لقد أشار المؤرخون إلى تطوير مقولة الشباب وإعادة اختراعها في تشكيلات متنوعة من السياقات التاريخية، حيث ربطوا فكرة الشباب بالتحول الثوري البلشفي في أعقاب الحرب العالمية الأولى، والفاشية الإيطالية والألمانية في فترة ما بين الحربين، وبرامج الإحياء في فرنسا ما بعد الحرب، والسيادة الوطنية والفاقتازيات الجيوسياسية في الولايات المتحدة

زمن الحرب الباردة^٩. وفي السياق المصري، كما يشير "إسرائيل جيرشوني" (Israel Gershoni) و"جيمس جانكوسكى" (James Jankowski)، "جرى تطوير أسطورة الشباب ف يمصر ما بين الحربين، رطانة تؤكد على الدور الوطني والقوة المخلصة "للجيل الجديد"^{١٠}. وباعتبارهم ممثلين للدولة والاقتصاد الصاعدين، كان ينظر إلى الشباب بوصفهم أفضل من يجسد الذاتية السياسية للنزعة الوطنية^{١١}. بالطبع، لم يكن مثل هذا الخطاب حول الشباب جديدًا تمامًا، فمن الممكن العثور على صلات سابقة تربط بين الشباب والنزعة الوطنية في الأيام العاصفة لثورة ١٩١٩. وبالفعل، ففي الفترة الممتدة بين نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، كان ينظر إلى الشباب بوصفهم مستودع الهوية الوطنية فعهد إليهم بمهمة خلق أمة حديثة قادرة على نيل استقلالها من البريطانيين^{١٢}.

ومع ذلك كان الخطاب العام حول الشباب في الثلاثينيات والأربعينيات متميزًا عن الفترات السابقة عبر عدة طرق. لقد أدت الزيادة الهائلة في أعداد طلاب المدارس الثانوية والجامعات بين عامي ١٩٢٥ و ١٩٤٥ إلى حدوث تماهٍ وثيق بين مقولتي "الشاب" و"الطالب"، فضلًا عن تمديد فترة ما قبل سن الرشد^{١٣}. ومع وضع التعليم تحت السيطرة الوطنية بعد حصول مصر على استقلال اسمي عام ١٩٢٢، جرى التوسع في التعليم الثانوي والابتدائي، وزيادة ميزانيات الدولة المخصصة للتعليم، وارتفعت نسبة من يعرفون القراءة والكتابة، وشهدت الجامعات زيادة مطردة في أعداد الطلاب^{١٤}. ففي الفترة ما بين ١٩٢٥ و ١٩٥٠، على سبيل المثال، ارتفع عدد طلاب الجامعات (ماعدًا جامعة الأزهر) من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠^{١٥}. وقد صاحب الزيادة الهائلة في عدد المدارس والجامعات في الفترة ما بين الثورتين ارتفاع في معدلات النشاط السياسي والاصطفافات الأيديولوجية. وكما جادلت "لوسى ريزوفا" (Lucie Ryzova)، كثيرًا ما كان شباب الثلاثينيات والأربعينيات ينظرون إلى أنفسهم على أنهم يواجهون السلبية السياسية لجيل ١٩١٩، بينما كان هذا الجيل ينظر إلى الشباب على أنهم مثيرو متاعب وثوريون، ويسعى إلى إدماجهم باعتبارهم جزءًا من الالتزام الوطني الموحد في مواجهة الاستعمار البريطاني والهيمنة الثقافية الأوروبية^{١٦}.

ورغم أنه كثيرًا ما تم تصوير الشباب على أنهم أمل المستقبل وذخيرة الثقافة الوطنية في مصر، كان الخطاب حولهم مزدوجًا في جوهره بوصفهم يشكلون خطرًا ووعداً في آن معًا. فمن ناحية، كانت المراهقة، المدركة بوصفها مقولة حدية، ترسم الحد الفاصل بين الطفولة والرشد، تمثل استعارة مثالية للتحول السياسي والاجتماعي من مستعمرة إلى أمة مستقلة. ومن ناحية أخرى، كان ينظر إلى مرحلة الشباب بوصفها مرحلة تتسم بعدم الاستقرار، ارتبطت في الأذهان باضطرابات اجتماعية وسياسية. وهكذا، فإن السمات عينها، المرتبطة بالطاقة الشبابية والتفاؤل،

التي كان يعتقد أنها ملائمة للممارسات السياسية ذات النزعة القومية جرى التقليل من شأنها بفعل النقاشات حول الطبيعة المتقلبة للشباب، التي كان ثمة اعتقاد في أن أحداث ١٩٣٥ و ١٩٣٦ حملت مؤشراتهما، وكذلك بفعل الخوف من البلاشفة الشباب أو التطرف الفاشي^{١٧}.

إن ظهور "الشباب" بوصفه فئة في حالة أزمة يجد بداياته في المظاهرات الطلابية والإضرابات واسعة النطاق التي اندلعت عامي ١٩٣٥ و ١٩٣٦، بل إن هذه الفترة التي أعقبت تلك الاحتجاجات هي الفترة التي سميت بـ"أعوام الشباب"^{١٨}. ثمة مزيج مركب من العوامل السياسية دفعت الشباب إلى الاحتجاج بقوة ضد الهيمنة البريطانية، شملت الغزو الإيطالي لأثيوبيا، واستبدال دستور ١٩٣٠ الأقل ديمقراطية بدستور ١٩٢٣، وعلاقة الوفد المهادنة على نحو متزايد مع الإنجليز ومع القصر، وأخيراً إعلان "سير صامويل هور" سنة ١٩٣٥ أن دستور ١٩٣٠ "لا يحظى بقبول شعبي" وأن دستور ١٩٢٣ "غير قابل للتطبيق"^{١٩}. كان نوفمبر ١٩٣٥ هو شهر التحرك الطلابي الجماعي والرد العنيف من جانب الشرطة، ما أسفر عن سقوط العديد من القتلى ومئات الجرحى في صفوف الطلاب. وفي يناير ١٩٣٦ اندلعت مظاهرات جديدة أدت إلى الإطاحة بحكومة رئيس الوزراء "توفيق نسيم باشا"^{٢٠}. وكما يشير أحمد عبدالله، "كانت الانتفاضة الطلابية في ١٩٣٥-١٩٣٦ إيذاناً ببزوغ الحركة الطلابية بوصفها قوة مميزة في السياسة المصرية"^{٢١}. في ديسمبر ١٩٣٥، أعيد العمل بدستور ١٩٢٣، وبعدها بفترة وجيزة تم توقيع المعاهدة البريطانية-المصرية عام ١٩٣٦^{٢٢}. من تلك اللحظة فصاعداً، سيصبح للتنظيمات الطلابية النضالية، والنشاط السياسي، والاحتجاجات، والتعبئة الجماهيرية، دوراً فعالاً في التأثير في المفاوضات السياسية للقصر، والوفد، والحركات المعارضة، مما يصور لنا "الفجوة المتنامية بالفعل بين الشباب والقيم البرلمانية والنظام البرلماني"^{٢٣}.

إن استياء الطلاب المتنامي من الوفد بصفة خاصة ومن السياسة الحزبية بصفة عامة، كان قد سبقه إنشاء عدد كبير من الجماعات التي وقفت خارج الميدان التقليدي للسياسة البرلمانية. فلقد شهدت فترة ما بين الحربين إنشاء عدد من الجمعيات السياسية والاجتماعية مثل "مصر الفتاة" و"جمعية الشبان المسلمين"^{٢٤}. وكما لاحظ عدد من الباحثين، بعد أحداث ١٩٣٥ و ١٩٣٦، اتخذت الجهود التنظيمية للطلاب بعداً من الاصطفاف السياسي والاستقطاب الأيديولوجي على نحو ظل يتزايد^{٢٥}. وفي لحظات متعددة من الفترة التي أعقبت أحداث ١٩٣٥ و ١٩٣٦، كان يمكننا أن نجد طلبة وفديين متحمسين، فضلاً عن إخوان مسلمين، وشيوعيين، وأعضاء في جماعة "القمصان الخضراء" شبه العسكرية التابعة لمنظمة "مصر الفتاة" والمناهضة للوفد، يمارسون نشاطهم داخل الحركات الشبابية والطلابية^{٢٦}.

وهكذا، كان النشاط السياسي للشباب والتنظيمات الشبابية واقعا سياسيا في الثلاثينيات والأربعينيات، مما دفع العديد من المصلحين الاجتماعيين إلى السعي نحو تسخير طاقات الشباب في خدمة المشاريع القومية. إن السيل الجارف من المقالات التي ظهرت سنة ١٩٣٦ وحدها يبين مدى إبحاح قضية الشباب والعلاقة الوثيقة الملموسة التي تربطها بقضية الاستقلال الوطني. فخصصت مثلاً مجلة الهلال الأدبية الثقافية واسعة الانتشار عدداً خاصاً بأكمله للشباب في ذلك العام^{٢٧}. وبالمثل، حفلت مجلة الرسالة بمقالات تستعرض فوائد النهوض بالشباب واحتوت على عمود خصص للشباب وحدهم^{٢٨}. واستجابة إلى المخاوف من كون الشباب ذواتاً متمردة محتملة تقف خارج ميدان السياسة الحزبية، أعاد كتاب تلك المجالات صياغة قضية النشاط السياسي للشباب بوصفها قضية محورية بالنسبة إلى الوحدة الوطنية، وأبرزوا دور الشباب في عملية الإصلاح السياسي الداخلي المعتدل ومشاريع الرفاه الاجتماعي^{٢٩}. ترافق الاهتمام بشأن الشباب مع الاهتمامات الأكبر لحقبة الثلاثينيات: الحد من الصراع الطبقي عن طريق إقامة تحالفات عابرة للطبقات، وتشجيع مشاريع الرفاه والإصلاح الاجتماعي، وخلق ذات سياسية متحررة من قيود الهيمنة الأوروبية^{٣٠}. لقد كان خطاباً وضع الشباب في طليعة التغيير الاجتماعي، وصورهم على أنهم يجسدون الذات السياسية للنزعة الوطنية لكن فقط بقدر نجاحهم في بلورة مفهوم سياسي غير صدامي يضرب بجذوره في تربة الوحدة الوطنية. وعلى نحو له أهميته، يمكننا أن ننظر إلى تنامي فعالية الشباب -وما صاحبه من إعادة توزيع الأجساد في المجال العام في صورة مظاهرات- بوصفه نمطاً من الممارسة السياسية معادية للنظام البوليسي في حقبة الثلاثينيات^{٣١}. وباختصار، فإنه بحلول الثلاثينيات، خضع مفهوم الشباب لصياغة جديدة تطرحهم باعتبارهم مشكلة تحتاج إلى تنظيم وتحكم، ومن ثم باعتبارهم موضوعاً ضرورياً للدراسة.

في مقال عام ١٩٣٦، علق الباحث العربي المرموق "أحمد أمين" على "الحالة المفزعة التي صار عليها الشباب والتي يستشعرها الجميع". وإذ عبر عن أسفه لكون "مشكلة الشباب" هي أكثر هموم مصر إلحاحاً، أشار إلى أنه لا يوجد بعد أية دراسة علمية متعمقة عن الشباب^{٣٢}. ميز "أمين" حالة الغضب والسخط بين الشباب بوصفها أحد الدواعي الرئيسية للهم والقلق، مشيراً ضمناً إلى السنوات العاصفة ١٩٣٥-١٩٣٦، ومنقداً زملاءه الذين قاموا بتسييس الجامعة^{٣٣}. وإذ ربط مباشرة بين ميدان علم النفس وأزمة الشباب، جادل "أمين" قائلاً إن المتخصصين في علم النفس وعلم الاجتماع بحاجة إلى إجراء دراسات نفسية عن الشباب مبنية على مبادئ ونظريات علمية، ليحددوا موطن الداء ويصفوا طرق العلاج^{٣٤}. وينبغي - طبقاً له - أن يحل علم نفس ذو نزعة فردية محل التسييس الجماعي، ويتطلب هذا، كما أشار، إنشاء عيادات نفسية

على غرار العيادات المتخصصة في الأمراض الجسدية. لكن قبل أن تتمكن تلك العيادات من أن تصبح حقيقة مادية، كان على المراهق نفسه -وغالبًا ما كان ذكرًا- أن يظهر بوصفه مقولة مستقلة ومميزة للتجربة النفسية.

نشوء علم نفس المراهق

أشار المؤرخون إلى أنه في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، لعب علماء النفس دورًا محوريًا متزايدًا في عمليات إضفاء السواء على المراهق (adolescent normalization)، التي حلت محل خطابات التوجيه والوعظ الأخلاقي السابق في القرن التاسع عشر. وهكذا، على سبيل المثال، أصبح الحدث الجانح رمزًا لسوء التكيف الاجتماعي أكثر منه عرضًا من أعراض الانحطاط الأخلاقي. لقد جعل ما أسماه "جاك دونزيلوت" (Jacques Donzelot) بـ"مركب الوصى" ("tutelary complex") وحدة العائلة تتمكن من الاحتفاظ بدور مركزي في عملية إضفاء السواء المتعلقة بالصحة والنظافة، التي كانت تتم عبر وساطة تقنيات الحكم^{٣٥}. ومع توطيد أركان الحيز التخصصي لعلم النفس في مصر، طرحت أدبيات حقبة الأربعينيات تصورًا عن "قضية الشباب" ينطلق، إلى حد كبير، من الدور الذي يلعبه علم النفس في العناية بصحة المراهق.

جادل "نيكولاس روز" (Nikolas Rose) قائلاً إن عملية إدارة "المواطن الصغير" كانت تقع ضمن اختصاصات علم النفس، الذي يتمثل موضوعه فيضبط السوية أو المعيارية (normality) عن طريق تقنيات تكوين الذات مثل اختبارات الذكاء والدراسات الخاصة بالتكيف الاجتماعي^{٣٦}. ويقرر روز أنه "مع ظهور نوع من الخبرة المعيارية المتخصصة في مرحلة الطفولة، أصبح من المستطاع التحكم في الحياة الأسرية والذات بطريقة جديدة"^{٣٧}. وبالمثل، كان التشديد على علم نفس المراهق داخل إطار ميدان علم النفس الناشئ في مصر معنيًا بإدارة التجربة الذاتية للشباب. فقد كانت مسوحات البحث الكمي للمراهقين، ومجموعات المذكرات واليوميات الشخصية، والتركيز على عمليات اكتشاف الذات عند المراهق وتحليلها -بوساطة نظرة عالم النفس المتفرسة- كلها وسائل أمكن بواسطتها تكوين الذاتية والاستعداد النفسى على المستوى الفردى لدى الشباب، عن طريق تقنيات إدارة الذات والمراقبة الخارجية^{٣٨}. نشأت إذن المراهقة، بمعالمها النفسية الفريدة، بوصفها مرحلة متميزة من الحياة في حاجة إلى المراقبة الذاتية، والإدارة من جانب الخبراء. وبعبارة أخرى، كانت "المراهقة" نتاجًا للعملية التي أطلق عليها "إيان هاكينج"

(Ian Hacking) "صناعة الشعب"^{٣٩}. ولقد صاغ علماء النفس لأنفسهم دورًا برجماتيًا في مصر ما بعد الحرب عبر اتخاذ المراهقة موضوعًا للبحث والإصلاح الملحّين. وهكذا، كان التأكيد على المراهقة في التصورات التي طرحتها العلوم الاجتماعية عن الشباب، في جانب كبير منه، جزءًا من ميدان علم النفس الناشئ في مصر الذي كانت مأسسته ونشره عملية واسعة النطاق متعددة الأوجه^{٤٠}. فقد تسربت الأفكار المتعلقة باللاوعي إلى الكتابات العربية في مصر منذ وقت مبكر يعود إلى العشرينيات، من خلال عدد هائل من المصادر، مثل: "بيير جانيه" (Pierre Janet)، "سيجيموند فرويد" (Sigmund Freud)، "كارل يونج" (Carl Jung)، وألفريد أدلر (Alfred Adler)^{٤١}. وكان تأثير علم النفس الفرويدي خصوصًا، في الثلاثينيات والأربعينيات، يظهر على نحو متزايد في التركيز على الدوافع الجنسية اللاواعية بعد أن بدأت ترجمات أعمال "فرويد" في الظهور^{٤٢}. فعلى سبيل المثال، أشار مقال نشر في الهلال عام ١٩٣٨ إلى أن ثمة تحولًا جليلاً قد حدث وأن الشباب المصري يقرأ "فرويد" بحماس وهو -أي الجيل الجديد- مطلع بشكل جيد على أفكاره عن اللاوعي، وتفسير الأحلام، والتحليل النفسي، والغرائز الجنسية^{٤٣}. وباعتباره نموذجًا مثاليًا للعلم الحديث، يمكن لفرويد، كما جادل البعض، أن يساعد الشرق على التقدم إلى الأمام^{٤٤}. وبحلول منتصف الأربعينيات، كان نوع من الكتابة الشعبية عن علم النفس قد ازدهر وتطور إلى درجة شعرت معها المجالات المتخصصة أنها مجبرة على انتقاد المؤلفات غير العلمية التي "أغرقت السوق" - ما يعد شهادة على الأهمية المتزايدة لعلم النفس بالنسبة إلى الخطاب الشعبي العام^{٤٥}.

بدأ تدريس علم النفس ذاته في قسم الفلسفة بالجامعة المصرية في وقت مبكر يعود إلى عام إنشائها في ١٩٠٨، وبحلول منتصف القرن، أصبح هناك علماء نفس أكاديميون في كل الجامعات والمعاهد الكبرى الأخرى في القاهرة والإسكندرية مثل "المعاهد العليا للتربية"، و"جامعة إبراهيم"^{٤٦}. حظي مجال التخصص في علم النفس بدفعة قوية مع عودة "يوسف مراد" و"مصطفى زيور" إلى القاهرة في بداية الأربعينيات، حيث كان كلاهما قد تلقى، فيا لثلاثينيات، تدريبًا في الفلسفة وعلم النفس في جامعة "السوربون"، وأصبح لهما نشاط كبير في ترجمة نظريات علم النفس ونشرها في مصر في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أسسا "جمعية علم النفس التكاملي" و"مجلة علم النفس المصرية". كان "مراد" واسع الاطلاع على تراث علم النفس العلمي الفرنسي، فضلًا عن مناهج التحليل النفسي والتحليل النفسي المحدث، وأصبح رائدًا لما أسماه مدخلًا تكامليًا في علم النفس، وأصدر كتيبًا دليلاً في علم النفس عام ١٩٤٨، لقي رواجًا كبيرًا وصدرت منه سبع طبعات على الأقل^{٤٧}. طرحت المجلة تصورات علم النفس ومفاهيمه في إطار متسع، حيث قامت بنشر أعمال فرويدية ومفئدة للفرويدية على حد سواء، وعكست بوضوح

الطبيعة المنفتحة للحيز التخصصي لعلم النفس الناشئ في مصر في فترة الأربعينيات، حيث سادت نظرة تعدد علمًا يتعلق بالشخصية (selfhood) والروح (soul) عوضًا عن حصر حدوده في مجرد الدراسة الإمبريقية للسيرورات العقلية. وانعكس هذا الاتساع الذي تميزت به أجدنتهم الفكرية في البيان الافتتاحي للمجلة، حيث شدد على أهمية علم النفس (النظري والتطبيقي على حد سواء) بالنسبة إلى الجمهور المثقف، كما أكد خصوصًا على الحاجة إلى تقديم علم النفس والتعريف به وبيان مدى قابلية تطبيقه في السياقات المصرية والشرقية^{٤٨}.

تزامن صدور المجلة في سنوات ما بعد الحرب مع عودة مظاهرات الطلبة، وأبرزها تلك التي اندلعت في نوفمبر ١٩٤٥ وفبراير ١٩٤٦ (بما في ذلك المسيرة الطلابية الدراماتيكية فوق كويري عباس والمصادمات مع قوات الشرطة) ونوفمبر ١٩٤٦؛ ونشاط سياسي مكثف للمطالبة بجلاء البريطانيين دون مفاوضات؛ وتضالول الدعم الشعبي (وعلى الأخص الطلابي) لمؤسسة سياسية تتآكل مصداقيتها بشكل متزايد؛ وتزايد النشاط السياسي للشباب والطلبة؛ وازدياد جنوح الأيديولوجية الطلابية نحو الراديكالية، وبخاصة ذات المنحى اليساري^{٤٩}. وفي ظل أجواء القلق الاجتماعي والغموض السياسي، تزايد الاعتماد على العلوم الاجتماعية، الآخذة في الازدهار، في عملية إدارة الجماهير في فترة ما بعد الحرب.

في ١٩٤٥، العام الذي شهد صدور العدد الأول من مجلة علم النفس، وبعد مرور أقل من عقد على الدعوة التي أطلقها "أحمد أمين" لدراسة الشباب المصري، قام "يوسف مراد" بوضع الخطوط العريضة لأجندة بحثية لدراسة سيكولوجية المراهق في مصر والعالم العربي الأوسع^{٥٠}. وكان "مراد" قد عقد العزم على تأسيس علم نفس باللغة العربية مرتكز على خصوصية العوامل الثقافية، فراح ينشر بانتظام قاموسًا لمصطلحات علم النفس في "مجلة علم النفس". كما كان أيضًا عضوًا في لجنة مصطلحات علم النفس بالمجمع اللغوي، ما مكنه من أن يلعب دورًا حيويًا في بناء معجم لمصطلحات علم النفس باللغة العربية وتوحيدها قياسيًا. كان مراد يرى أن علم النفس يختلف عن العلوم الطبيعية التي تسمح باكتشاف قوانين صالحة للتعميم كونيًا؛ إذ إن لكل ثقافة خصوصيتها، ومن ثم لكل علم نفس خصوصيته، وأكد على أن خصوصية الثقافة، لم تكن في أي مكان حقيقية بدرجة أكبر مما هي عليه في مجال دراسة المراهقة. فالشباب الأوروبي يختلف عن الشباب المصري نتيجة للاختلافات الجغرافية والدينية والثقافية، مما ينطوي على العديد من النتائج بالنسبة إلى الدراسات النفسية. على سبيل المثال، تنطوي مراحل الجنسانية التي اقترحها "فرويد" على خصوصية ثقافية بالنسبة إلى تكوين العائلة الأوروبية، كما اتضح ذلك بجلاء، حسبما أشار، في نقاشات "مارجريت ميد" (Margaret Mead) في كتاب بلوغ سن الرشد في سامو (Coming of Age in Samoa). وبالمثل، فقد جادل بأن الأبحاث قد أظهرت أن

المراهقة ليست بالضرورة مرحلة تتسم بالعدوانية والمشاكسة، كما أكد على أن إجراء دراسة إقليمية عن الشباب من شأنه أن يسهم في الدراسات الأوسع لقضايا الشباب ويوسع أفقها فيما وراء حدودها الأوروبية الحالية^{٥١}.

وعلى الرغم من إقرارهم بأن الخطوط الرئيسة لعلم النفس تعتمد على عوامل تتعلق بالخصوصية الثقافية، اشترك "مراد" وآخرون ممن يكتبون في "مجلة علم النفس" في مجموعة من الافتراضات عن سيكولوجية المراهق بوصفها مرحلة تتسم بالتأمل في باطن النفس والوعي الحاد بها، وتجلي الدوافع الجنسية اللاواعية، والتشوش الفلسفي. بكلمات أخرى، أثرت المراهقة على البدايات التطورية لجوانية عميقة الغور، ومثلت مقولة تحليلية بشرت بظهور أنماط جديدة من الكينونة^{٥٢}. لم تكن تلك العملية، بطبيعة الحال، حكرًا على مصر، إنما كانت معاصرة لعملية رسم حدود المراهقة ودراستها بوصفها مرحلة تطويرية مميزة في علم نفس المراهق الأوروبي، مثل كتابات "موريس ديبيسيه" (Maurice debesse)، تلميذ "هنري والون" (Henri Wallon)^{٥٣}. كان "الون"، الذي استقى منه "لاكان" فكرته عن مرحلة المرأة، على عكس المتوقع، اسمًا مألوفًا في مصر ما بعد الحرب، وجزءًا من مجموعة أوسع من الروابط بين علم النفس الفرنسي والمصري. لقد كان لعمل "ديبيسيه" الرائد **كيفية دراسة المراهقين** (*Comment Etudier Les Adolescents*) الذى ظهر عام ١٩٣٧ تأثير واضح في تأكيد "مراد" على اليوميات باعتبارها وسيلة للنفاذ إلى الجوانية، بالإضافة إلى تأكيده على الأهمية الفريدة للعاطفة في مرحلة المراهقة.

أصبح النفاذ إلى الجوانية من خلال اليوميات، والمراسلات، والاستبيانات، والاختبارات النفسية، والملاحظة، هو الهدف الرئيس لعلم نفس المراهق^{٥٤}. ومن ثم، اقترح "مراد" استبيانًا يتألف من أربعة وأربعين سؤالاً، ومقسم إلى سبعة أقسام: ذكريات الطفولة، الرغبة في الأصالة (originality)، اليوميات الحميمة، الصداقة، الشواغل الفلسفية، ومجموعة متنوعة من الصراعات والطموحات^{٥٥}. فكانت الأسئلة توجه إلى الطلاب عن سنوات طفولتهم، وما إذا كانت لديهم أية ذكريات إيجابية أو سلبية، وعن اهتمامهم بالقضايا الدينية والفلسفية، وما إذا كانوا يسجلون يومياتهم أم لا: باختصار، أسئلة تتطلب القيام بعملية صياغة وبلورة للحالات الجوانية.

التقط "عبد المنعم المليجي"، الذي كان يقوم بتدريس الفلسفة في جامعة حلوان وعلم النفس في القاهرة، أجنحة "مراد" البحثية، ودافع عن استخدام اليوميات والمذكرات الشخصية بوصفها وسيلة مخصصة لفهم نفسية المراهق. وكان يرى أنه من الممكن تمييز المراهقة بوضوح باعتبارها مرحلة نفسية متميزة من الحياة تتسم بطور رومانسي^{٥٦}، وأن السمة الرئيسة للمراهقة هي الطريقة التي من خلالها يصبح الفرد، الذي كان منغمسًا في العالم الخارجي ومرتبطًا به من قبل، يزداد انفصالًا وانكفاءً على ذاته بينما ينأى بنفسه عن المجتمع والأعراف الاجتماعية. بناء على

قراءة متأنية لعدد كبير من يوميات الطلاب ومذكراتهم، رسم "المليجي" صورة للمراهقة على أنها فترة اضطراب عميق، وركز على الصراعات التي يعيشها الشباب بين الذات والمجتمع، وأشار إلى أنه من الممكن حل تلك الصراعات بعدة طرق تتراوح من اليوميات الشخصية حتى الانتحار^{٥٧}. كما أشار "المليجي" إلى السمات الرئيسية لتلك اليوميات، وعلى وجه التحديد: السرية، والتركيز على تحليل الذات، وتصوير المجتمع على أنه قاسٍ عديم الرحمة^{٥٨}.

وهكذا، نشأت جوانية شديدة الاضطراب تتسم بتأمل مكثف فيالنفس، بوصفها إحدائيات تطويرية وحجر أساس لعلم نفس المراهق. وما له دلالة، أن الهيمنة التيتمتع بها علم النفس بوصفه أداة لإنشاء المراهقة وفهمها، قد سارت جنباً إلى جنب مع ظهور جوانية نفسية مراهقة غير مسيئة. فقد أكدت خطابات علم النفس على الصراعات النفسية لدى المراهق بوصفها صراعات ذات طابع فردي بين "الذات" و"المجتمع"، عوضاً عن النظر إلى المراهقة بوصفها منغمسة بعمق فينضالات سياسية واجتماعية أو صراعات أكبر، وعاكسة لها فيالوقت نفسه.

المراهق المنحرف

بالتوافق مع تأكيدات علم النفس الفرويدي، نظر "المليجي" إلى المواقف السلبية للمراهق تجاه المجتمع بوصفها إسقاطاً لاواعياً لاضطراب داخلي. ومن ثم، أقدم المليجي، بعد أن جمع المعلومات باستخدام طريقة الاستبيانات التي وضعها "مراد"، وملاحظاته هو الشخصية، على تحليل ما رأى أنه حالة متطرفة من عدم تكيف المراهق، أو جنوح الحدث، عند طالب في المرحلة الثانوية في التاسعة عشرة من عمره، أشار إليه بحرف "أ"^{٥٩}. اتسم سلوك "أ" بالعدوانية تجاه أقرانه، والعداء للسلطة، وإفراط في النشاط الجنسي، و"الشروود الذهني" ("mental vagabondage") - على سبيل المثال الهوس المرضي بالموت. وكان والد "أ" قد هجره عندما كان عمره عامًا واحدًا، وتولت والدته البدوية تربيته في الصحراء، ثم انتزعه والده منها بالقوة وهو في سن العاشرة، وأرسله إلى مدرسة ابتدائية، ليتسلم بعد عامين، في سن الثانية عشرة، إخطارًا يبلغه بموت أمه. وألمح "المليجي"، على نحو عابر، إلى العلاقة بين حالة "أ" وهشاشة أوضاع النساء البدويات اللاتي يتزوجن من رجال حضريين دون عقد زواج، غير أنه تجاهل القيام بتحليل اجتماعي للوضع. وعوضاً عن ذلك، جاء تحليله لـ"أ" في إطار صريح من التحليل النفسي، حيث نظر إلى الصدمة النفسية بوصفها تسد الطريق أمام التطور الطبيعي للمراهق، بينما أرجع أسباب عدم التكيف إلى الإفراط في عاطفة الأمومة أو في القسوة الأبوية. وجادل قائلاً إن السلوكيات المنحرفة، تعمل بوصفها حلولا زائفة للصراعات اللاواعية التي تتجلى في مخاوف أنطولوجية ووجودية.

كان تحليل "المليجي" يهدف بوضوح إلى التصدي للأفكار الشعبية السائدة عن الحدث الجانح بوصفه في حاجة إلى معاملة عقابية وإصلاح من خلال القانون. إن تاريخ ظهور الحدث الجانح في مصر بوصفه مقولة اجتماعية وقانونية من شأنه أن يخرج بنا عن نطاق الدراسة الحالية. نكتفي بالقول إنه بحلول أواخر الثلاثينيات، أصبح الحدث الجانح موضوعاً رئيساً للدراسة ووجد "عناية مكثفة" في محاضرات مدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة خلال العام الدراسي ١٩٣٧-١٩٣٨. كما بدأ مجلس آباء المدرسة، و"الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية"، بداية من الأربعينيات، مشروعاً متكاملًا لدراسة الأحداث الجانحين على المستوى الطبي، والنفسي، والاجتماعي^{٦٠}.

تقف دراسة حالة "أ" التي أجراها "المليجي" في قلب صورة الجانح، الذي كان يقبع على هوامش الخطاب القومي حول الشباب والذي لم يكن متوافقاً مع "ذات" الطبقة الوسطى السليمة كما تُصورها النزعة القومية الذكورية. كان الجانحون هم "كلاب الشوارع"، كما وصفهم أحد المعلقين، الذين يجوبون شوارع القاهرة أثناء الليل^{٦١}. وفي مقال نشر في الرسالة عام ١٩٤٨، انتقد "عباس خضر" وفرة وقت الفراغ لدى الشباب من الطبقتين الوسطى والدنيا، الذي يملأونه بالتردد على دور السينما والمقاهي، وكان القلق قوياً بشكل خاص بشأن الأولاد الذين يعيشون حياة أسرية مضطربة والذين لم يتلقوا تربية سليمة. كانت تلك الصورة للذات الجامحة غير المنتجة هي الذات اللاوطنية بامتياز، التي كان يتعين تهذيبها وضبطها من خلال منظمات مثل "جمعية الشبان المسلمين" التي سعت إلى مساعدة الشباب على اكتساب أشياء مثل العادات الجسدية، والحساسية الجمالية، والأخلاق الوطنية السليمة، الخاصة بالطبقة الوسطى^{٦٢}.

وبينما أقر "المليجي"، إلى جانب عدد كبير ممن يكتبون في مجلة علم النفس، بالمعالم الاجتماعية للجنوح، فقد وضعوا الحدث الجانح مباشرة فيب ورة خطابات علم نفس المراهق ذات النزعة إلى التفسير على مستوى الفرد، وغالباً بوصفه ذات نفس-جنسية شديدة الانحراف^{٦٣}. ومن هذه الزاوية، يظهر الجانح بوصفه العَرَضُ الظاهر من الميول اللاواعية لدى الفرد في علاقته بالبيئة الاجتماعية. ورغم أن الفقر، والجهل، والتهميش الاجتماعي كانت جميعها عوامل حاسمة، فإن التعامل مع المراهقين مثل "أ" بالطريقة التي اقترحتها "خضر" (من خلال المشاريع الانضباطية لجمعيات مثل الشبان المسلمين) يعد بالكاد شرطاً مسبقاً كافياً للصحة العقلية من هذا المنظور.

والأهم من ذلك، أن نقاشات "المليجي" قدمت تحليلاً سيكولوجياً طويل المدى باعتباره إطاراً بديلاً لفهم جنوح الحدث بوصفه عرضاً من أعراض عدم التكيف عوضاً عن اعتباره علامة على الانحلال الأخلاقي أو خرق النظام الاجتماعي. وما له دلالة مهمة، إذن، أن المراهق الجانح قد

ظهر بوصفه طرفاً في متصل الصحة النفسية، لا باعتباره شخصية اجتماعية قائمة بذاتها. وقد تجلى هذا بوضوح في تحليلات يوميات المراهقين التي أجراها "المليجي" على عدد من طلاب المدارس الثانوية باعتبارهم ممثلين عن تلك الفئة. قدم "المليجي" تعريفاً للمراهقة ذاتها انطلاقاً من فكرة انبثاق الغرائز الجنسية اللاواعية والصراع بين تلك الغرائز من جهة والأعراف الاجتماعية أو الدينية من جهة أخرى (بطريقة تشبه إلى حد بعيد طريقته في النظر إلى "أ"). على سبيل المثال، في معرض مناقشته لحالة شاب بدأ يصلي، ويصوم، ويتعبد "إلى حد التصوف"، فسر نزعته الدينية المتطرفة بوصفها شكلاً من أشكال الشعور بالذنب بسبب دوافعه الجنسية التي جرى التسامي بها إلى دوافع دينية^{٦٤}. سوف أعود لاحقاً إلى صورة الصوفي الشاب تلك، التي جرى قمعها على هوامش خطاب علم النفس.

كان تحليل "المليجي" جديرًا بالاهتمام من جانبين على الأقل. أولاً، شأن العديد من علماء النفس في منتصف القرن، قام "المليجي" بتصوير المراهق على أنه، أولاً وفي المقام الأول، ذات نفس-جنسية، أي ذات جرى اصطناعها في دوامة من الدوافع الجنسية اللاواعية. تلك الدوافع الجنسية اللاواعية كانت قوية لكن غير مستقرة ومن ثم خاضعة للتشوهات التي يمكن أن تؤدي إلى جنسانية منحرفة. ثانياً، بالنسبة إلى "المليجي"، كان ينظر إلى الدين نفسه بوصفه حالة نفسية عوضاً عن أن يكون مجموعة من الممارسات الملموسة أو التقاليد الأخلاقية. كانت تلك، على وجه الدقة، هي أطروحته في مقال نشر في وقت مبكر، ركز فيه على الشعور الديني بوصفه تجربة مراهقة بالغة الأهمية ونتيجةً معقدًا لعوامل فردية واجتماعية؛ حيث ناقش الصحوه الدينية أثناء المراهقة، والحماس الديني، والشك والإلحاد، والدين والحب^{٦٥}. سوف أتناول تلك النقاط بالترتيب: المراهق بوصفه ذاتاً نفس-جنسية، وبوصفه ذاتاً أخلاقية. تلك كانت هي الموضوعات البارزة في الأدبيات الأوسع عن المراهقة في مصر وشكلت أنماطاً مختلفة، لكن مترابطة، لتكوين الذات.

الذات النفس-جنسية

كان علم نفس المراهق، في فترة ما بين الحربين وما بعد الحرب، معنياً، في الأغلب، بالدراسات الأكاديمية، بيد أنه كان مقدراً للمعرفة التي أنتجها أن تلعب دوراً برجماتياً في إدارة أزمة الشباب في مصر، وعلى الأخص في خلق مراهقين جرى إضفاء السوية عليهم، خالين من الأمراض النفس-جنسية. وهكذا، جادل دكتور "محمد زكي الشافعي" بأنه لن يمكن التصدي لأزمة الشباب في مصر دون فهم سيكولوجي للميول اللاواعية المتنوعة لدى الشباب مما يساعد على الوقاية من أمراض المراهقة الشائعة وعلاجها، مثل عقدة الشعور بالدونية^{٦٦}. أما دكتور

"أحمد ناجي" فقد دافع عن ملاءمة "فرويد" للسياق المصري، مشيرًا إلى أنه من الممكن توظيف نظريات "فرويد" بوصفها منهجًا ممكنًا لمعالجة مشاكل الشباب مشكلة الكبت الجنسي على وجه الخصوص. وقد أوضح أن أعمال "فرويد" لا تتناول الجنسية فحسب لكنها تتناول أيضًا العلاقة بين الذكور والإناث، ومن هنا تكتسب أهميتها للمدرسين الجامعيين، الذين يرون طلابهم من الذكور والإناث -الجالسين الآن جنبًا إلى جنب في الجامعة- غير قادرين على التفاعل معًا^{٦٧}. إذ كان قد تم قبول أول طالبة في "جامعة القاهرة" عام ١٩٢٨، واكتملت عملية التعليم المختلط في الجامعة عام ١٩٥٣، عندما فتحت "كلية دار العلوم" أبوابها أمام الفتيات^{٦٨}. ومن هنا أكد "عبده ميخائيل رزق" على الصعوبات الناجمة عن الفصل بين الجنسين، وحاضر في "جمعية الثقافة الجماهيرية" في دمنهور عن أهمية تدريس الجنس للشباب للوقاية من الانحرافات الجنسية^{٦٩}.

هناك العديد من السياقات السياسية والاجتماعية الأوسع للتأكيد المتزايد على التطور النفس-جنسي عند المراهق. أولاً، وكما رأينا، أدى التركيز في الأربعينيات على علم نفس المراهق بوصفه مؤشرًا للتكيف الاجتماعي، إلى انتشار مجموعة متنوعة من تقنيات تكوين الذات، تركزت حول حالة الغليان الداخلي عند المراهق. إن المخاوف من أن "الطاقة اللامحدودة" لدى الشباب قد تأخذ وجهة خاطئة نحو الانحراف الجنسي، أو يتم إسقاطها على مجال النشاط السياسي، غدت حالة من القلق بشأن الانحراف الأخلاقي، الذي ركز على أهمية العواطف والجنسانية الغيرية بالنسبة إلى النمو السليم للمراهق. وبالفعل، أرجع الباحث الاجتماعي الأنثروبولوجي "راؤول مكاروريوس" (Raoul Makarius) حالة الإثارة والاهتياج السياسي في عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٦ جزئيًا، إلى المخاوف الجنسية والكبت الجنسي لدى الشباب^{٧٠}.

ثانيًا، كما أوضحت "حنان خلوصي"، ثمة حاجة إلى وضع نقاشات القرن العشرين حول الممارسات الجنسية في مصر داخل الخطابات الأوسع حول مراقبة وتطبيب (أى تحويلها إلى ظاهرة طبية) الجنسية التي أنتجت الذات الذكورية السليمة، الغيرية الجنسية، المعيارية، بوصفها أساسًا للأمة لما بعد كولونيالية الخالية من الأمراض الطبية-الاجتماعية^{٧١}. وفي هذا الإطار جرى استهداف العزوبية الممتدة، ودعارة النساء، والجنسانية المبكرة، بوصفها أمراضًا اجتماعية^{٧٢}. أما عن السياق الأخير، فهو يتمثل في الأدبيات الأوسع عن الجنسية والانحراف الجنسي التي أصبحت، بحلول نهاية العشرينيات والثلاثينيات، كما لاحظ "ويلسون جاكوب" (Wilson Jacob)، "موضوعًا ثابتًا للنقد الاجتماعي وحشد آراء الأطباء، والصحفيين، وكتاب القصة والرواية، وعلى نحو لافت للنظر، هؤلاء المتحمسين إلى حركة الثقافة الجسدية. وقد تجلى

ذلك في مجموعة واسعة من المصادر - من الصحف والمجلات والقصص المصورة، حتى سجلات المحاكم ومحاضر الشرطة"^{٧٣}.

ركزت الأدبيات التي تناولت سيكولوجية المراهق إلى حد بعيد على التوسع في دراسة الدور الذي تلعبه الدوافع الجنسية اللاواعية، وحلها العادي أو المرضي في حياة المراهق. في كتاب بعنوان **سيكولوجية الجنس**، نشر في سلسلة "اقرأ" الشعبية، رسم "يوسف مراد" للقارئ العادي غير المتخصص الملامح الأساسية لصورة المراهق بوصفه ذاتاً نفس-جنسية تشكلت نفسيته المعقدة التركيب من تقاطع الدوافع الجنسية اللاواعية التي تضرب بجذورها في مرحلة الطفولة مع الأعراف الاجتماعية التي تحكم العلاقات بين الجنسين في مصر^{٧٤}.

كان هذا بمثابة نص مكمل لكتاب "مراد" **شفاء النفس** الذي حقق رواجاً عند صدوره سنة ١٩٤٣ وقدم لقرائه المبادئ والنظريات الأساسية في علم النفس ومدارسه الفكرية^{٧٥}. جاء هذا النص مطعماً بدراسات حالة، وحوارات أجريت مع طلاب ومرضى، مقدماً بذلك لقرائه علم نفس ينبض بالحياة.

بالقياس إلى الكتابات العربية السابقة، كان **شفاء النفس** خطاباً ذا نزعة طبية بدرجة أقل من كونه خطاباً يركز على الحل النفسي السليم للعلاقات بين الجنسين^{٧٦}. على امتداد نصه، استعرض "مراد" عدداً كبيراً من الحلول الناقصة للعقد النفس-جنسية، بناء على أمثلة مستقاة من خبرته مع المرضى ومن المقابلات التي أجراها مع المراهقين والشباب. وبالتوافق مع تأكيده على علم النفس التكاملي انصب اهتمامه على الصراعات التي تنشأ بين أجزاء النفس المختلفة، أو بين الدوافع الواعية واللاواعية. وكما أشرنا سابقاً، على الرغم من أنه كان ينظر إلى المراهقة في جانب كبير منها بوصفها مشكلة تتعلق بالذكورة، فقد حظيت الأنوثة باهتمامه، وبخاصة في النقاشات التي تناولت الانحراف الجنسي. تولت العديد من الأمثلة التي ساقها "مراد" تسليط الضوء على التعلق الجنسي الغيري الفاشل، وعلى سبيل المثال، في تركيزه على الحالات التي شعرت فيها الإناث بانجذاب إلى زميلاتهن في الدراسة وتعلقن بهن تعلقاً رومانسياً. وأسند "مراد" تحليله للتعلق الاجتماعي المثلي والجنسي المثلي لدى الإناث على الصراع بين الأعراف الاجتماعية والدوافع النفسية القهرية^{٧٧}.

قدم "مراد" الأنوثة في صورة مفهوم مثالي شديد الهشاشة، لا يمكن بلوغه، مشيراً إلى أن الإناث تجتزن مرحلة المراهقة بصعوبة بالغة. وجادل بأنه، حتى وهن متزوجات، كثيراً ما تفتقر الإناث إلى الوعي بالدوافع الجنسية الشاذة اللاواعية في سنوات مراهقتهن ومواقفهن السلبية تجاه الجنس الآخر، وهي مواقف من الممكن أن تؤدي إلى البرود الجنسي أو الهستريا أثناء الزواج. وانتهى بتوجيه نداء لتدريس علم النفس للشباب لمساعدتهم على محاربة الميول الجنسية المنحرفة

والتمتع بحياة زوجية يسودها التناغم والانسجام. بكلمات أخرى، ثمة حاجة لغرس الجسدية الغيرية في النفوس من خلال تدريس علم النفس والتحليل. كان تحليل "مراد" ينتمي، في المجمل، إلى التحليل النفسي المحدث (neo-psychoanalytic)، إذ يشدد بدرجة أكبر على العوامل الاجتماعية^{٧٨}. كان مراد بعيداً عن أن يكون فرويدياً بشكل كامل وكثيراً ما انتقد النماذج الفرويدية بوصفها اختزالية وذات نزعة آلية^{٧٩}. بل في واقع الأمر، بدا منهجه في التعامل مع السيكولوجية الأنثوية- بوصفها نتاجاً لعوامل اجتماعية ونفسية بقدر مساوٍ- أقرب إلى منهج "كارين هورني" (Karen Horney) التي استشهد بها في سياقات أخرى مؤيداً قولها^{٨٠}. من وجهة نظره، كانت البيئة المصرية تعمق الميول الأنثوية، مثل شعور الأنثى بالنقص مقارنة بالذكر، وهو ما يتم تقويته وتدعيمه من خلال المعاملة التمييزية من جانب الوالدين. ورأى أنه، بالمثل، عندما تبدأ الإناث في الإحساس بمشاعر جنسية غيرية في مرحلة المراهقة، فإن المحاذير الاجتماعية على التعاملات بين الذكور والإناث تؤدي إلى نشوء صراع بين المشاعر الجنسية والأعراف الاجتماعية، وعضاً عن توجيه مشاعر الطفلة وتهذيبها، يعزز الآباء والأمهات المصريون تلك المحاذير^{٨١}.

إن نظير الأنوثة الفاشلة هي الذات الذكورية المتحققة على نحو غير سليم، وهي موضوعة تناولها "مراد" قبل عدة سنوات مع "زيور"، زميله في تحرير المجلة. ففي عدد من "مجلة علم النفس" عام ١٩٤٨، أرسل قارئان يطلبان من المحررين أن يكتبوا بشيء من التفصيل عن الحب المثلي. أحدهما، الذي وقع بحرفي "س. ع"، بدأ رسالته بالحكي عن سنوات طفولته المبكرة حين كانت أخته تلبسه ملابس أنثوية وتجعله يلعب أدواراً أنثوية. وكانت بنية رسالته تظهر بوضوح مدى استحواذ منهج السرد الذاتي الاعترافي لذكريات الطفولة، على القراء. كان "س. ع." منزعجاً من كونه ذكراً في الواحدة والعشرين من عمره ولا يشعر بأية رغبة جنسية تجاه النساء. في المدرسة نشأت صداقة بينه وبين فتى جميل المحيا، وشعر نحوه برغبة جنسية رغم إقراره بأن الجنسية المثلية أمر منافٍ للعادات والشرع. ماذا ينبغي عليه أن يفعل، تسائل قائلاً، وكيف يمكنه التغلب على رغباته؟^{٨٢}. جاء رد المجلة مسهياً ومحسوباً. في رد لا يقل عن ثمان صفحات، أشاروا إلى تزايد معدل ظاهرة المثلية الجنسية، وأعربوا عن أسفهم لعدم وجود أي نقاش علمي مستفيض لها في الكتابات العلمية والأكاديمية باللغة العربية.

بعد استعراض الملامح الرئيسية للأنواع المختلفة من المثلية الجنسية (التي تتراوح من الاتصال الجنسي الفعلي، إلى العلاقات الجنسية بدون اتصال جنسي كامل، إلى الرغبة الجنسية)، والدراسات النفس-اجتماعية التي وضعت تقديرات لمدى انتشار المثلية الجنسية (مثل تلك التي أجراها هافيلوك إلياس Havelock Ellis وألفريد كينسي Alfred Kinsey)، شرع

المحررون في نقاش معمق لعدد كبير من النظريات النفسية عن الجنسية المثلية بداية من "فرويد" حتى "أدلر". وما كان له أهمية حاسمة بالنسبة إلى أطروحتهما هو الحاجة إلى الابتعاد عن الانطباعات الشعبية الراسخة عن الجنسية المثلية بوصفها شيئاً فطرياً، نحو التفكير فيها بوصفها ظاهرة نفسية، إذ لو أمكن إثبات أن الجنسية المثلية هي نتاج طفولة غير طبيعية، أو عقدة الشعور بالدونية، أو الفصل بين الجنسين، لأصبح من الممكن علاجها عن طريق عملية التحليل النفسي أو التغييرات السلوكية والبيئية. وفي واقع الأمر، كان المتكأ التفسيرى الرئيس للمحررين هو التحليل النفسي المحدث^{٨٣}. بعد عرض مبسط لعقدة أوديب، أشار المحرران إلى أن السبب في حالات كثيرة من المثلية الجنسية يرجع إلى عدم التوصل إلى حل سليم لهذه العقدة. وباختصار، على القارئ الشاب المنزعج من افتقاره إلى الرغبة الجنسية، أن يلجأ إلى العلاج عن طريق التحليل النفسي.

وهكذا، كانت عملية إنتاج ذات نفس-جنسية سوية جزءاً لا يتجزأ من تطور علم نفس للمراهق، يبحث عن حل "طبيعي" للعقد النفسية عبر غرس الرغبة الجنسية الغيرية وزواج الرفقة داخل النفس^{٨٤}. بيد أن كل خطوة في اتجاه السوية كانت محاطة بحلول يحتمل أن تكون "مَرَضِيَّة"، إذ إنه بدءاً من الطفولة المبكرة حتى الزواج، كانت الرغبة الجنسية المثلية تمثل تهديداً لاستقرار الحياة النفسية للشباب، بشكل يبلغ أقصى درجاته في مرحلة المراهقة. على الرغم من أن الزواج يبرز في العرض الذى قدمه "مراد" بوصفه غاية الصحة النفس-جنسية السليمة للمراهق، كانت عملية النضوج الجنسي للمراهق تعاني بشدة من التردد والإخفاقات المعطلة. إن الميول الجنسية الغيرية لدى الذكر والأنثى قد ظهرت في تلك الأدبيات، بوصفها معايير شبه مستحيلة للتطور النفس-جنسي. وقد ترافق الاهتمام بالجنسانية الغيرية السوية، مع التزايد في سطوة وانتشار نظريات التحليل النفسي عن الذات والنفس، حيث جرى إعادة صياغة الشواغل الجنسية في صورة مشكلات يمكن تناولها من خلال التحليل النفسي. بيد أنه كانت هناك مجموعة من الأدبيات معنية بقدر مساوٍ بالتطور النفس-جنسي السوي للمراهق. كانت تلك هي الأدبيات التي سعت إلى وضع المراهق داخل التقليد الإسلامى الأقدم عهداً، المعروف بتهذيب النفس.

أخلاقيات الذات

في غمار استقصاءنا للكيفية التي حدث بها التحول في الأفكار المتعلقة بالمراهقة من خلال الانتشار المتزايد للأفكار السيكولوجية عن الذات والنفس، من الخطأ أن نهمل أهمية الخطاب الديني. يساعدنا تحليل الخطاب الديني على أن نتساءل بوضوح أكثر عما إذا كان التأكيد على

عملية إضفاء السوية النفس-جنسية على المراهق قد أزاحت الخطابات السابقة المتعلقة بالنزعة الأخلاقية والتشكيل الأخلاقي للذات، أم بالأحرى تلاقت معها. في واقع الأمر، قدم أغلب المؤلفين الذين كتبوا عن سيكولوجية المراهقة رؤية ثلاثية للعناية بالنفس تستوجب الاهتمام بالجسد، والعقل، والروح^{٨٥}. وشكلت الأخلاق أحد الأقطاب المهمة لتطور المراهق، وأكد العديد من المؤلفين على أهمية الالتفات إلى هموم الصحة الروحية للشباب، وهي هموم تضرب بجذورها في التراث الإسلامي وأبرزوا التفسخ الوجودي والجنسي بوصفه يمثل أعظم تهديد للشباب المسلم^{٨٦}.

في مقال مطول من خمسة أجزاء نشر في مجلة الرسالة، عاب "إبراهيم البطراوي" على المصلحين الاجتماعيين تناولهم مشاكل الشباب من منطلقات فيسيولوجية ونفسية خالصة^{٨٧}. وانتقد "البطراوي" علماء النفس والمحللين النفسيين الذين انطوت طرقهم التحليلية التي تركز على الفرد والغرائز الجنسية على إمكان تشجيع الرذيلة وإطلاق العنان لها^{٨٨}. تكمن القضية الأعمق، كما جادل قائلاً، في مشكلة أكثر جوهرية تتعلق بالشباب، وهي نزعتهم التشككية تجاه المثل العليا الدينية والأخلاقية والسياسية. وعبر استحضار صورة الشباب الذين يقضون أوقات فراغهم في المقاهي والصالونات في الحديث عن الميتافيزيقا وحقائق الوجود بمفردات الفلسفة الحديثة، أعرب "البطراوي" عن انزعاجه من الظروف الوجودية للشك والعدمية^{٨٩}. لقد لاحظ أن الحالات الوجودية المتطرفة من الشك جعلت الشباب عرضة للاستغلال من جانب فصائل سياسية شتى. وأشار إلى اتجاهين سائدين في الفلسفة المعاصرة: التراث الفرنسي في الشك الفلسفي الذي بلغ ذروته في الثورة الفرنسية وقاد في النهاية إلى الوجودية، والتراث الماركسي الذي بلغ ذروته في الشيوعية. ومن المؤكد أن تلك الملاحظات جرت قراءتها في سياق أحداث ١٩٤٥ و ١٩٤٦: النشاط النضالي للطلبة، والمصادمات العنيفة بين قوات الشرطة والطلبة، وما رافقها من إجراءات صارمة ضد التهبيح اليساري التي دشنتها حملة "صدقي" القمعية، وقد أسهمت جميعها في تعميق المخاوف من النشاط السياسي للطلبة.

تمايزت أعمال "البطراوي" بوضوح من الأدبيات الأوسع التي تناولت سيكولوجية المراهق، من خلال نقدها اللاذع للفهم السيكولوجي للشباب، بينما أوضحت في الوقت نفسه إلى أي مدى أصبح ذلك الفهم مهيمناً. فقد برز الخوف من الذات السياسية والجنسية الجامحة (الشيوعيين والداعرين) واضحاً مسيطراً في كتابات "البطراوي"، مثلما كانت الحال مع العديد من زملائه من علماء الاجتماع. لكن خلافاً لهم، فإنه لم يقترح اللجوء إلى التحليل النفسي أو تدريس الجنس للشباب، وإنما دافع بالأحرى عن إعادة إدماج المثل العليا الإسلامية في حياة الشباب الجماعية. واقترح، على وجه التحديد، العودة إلى النموذج الإسلامي في المزج بين الدين والعلم، مستشهداً

بكتابات "الأفغاني" في أواخر القرن التاسع عشر بوصفه مثلاً و"الغزالي" الذي عاش في القرون الوسطى بوصفه نموذجاً يحتذى على مستوى الحياة الشخصية^{٩٠}.

تكررت نقاشات "البطراوي" للنزعة العدمية في عدد من الكتابات التي ظهرت في مجلة علم النفس. وبالمثل، ركز "المليجي" على الشك الديني في مرحلة المراهقة بوصفه شعوراً سيكولوجياً مهماً، استناداً إلى دراسات الحالة التي أجراها على الطلاب^{٩١}. وقد ركز تحليله على الظروف الفردية التي قادت المراهقين إلى تجربة الشك الديني أو الإلحاد، واستند إلى رؤيته للدين بوصفه لا يعدو المجموع الكلي لمحتوى المشاعر الإنسانية (مثل الحب والخوف)، ملحقاً بأشياء يعتبرها الفرد مقدسة^{٩٢}. يتأسس الورع الديني دوماً بتأثير التكوين النفسي العام للفرد. ومن ثم، بحث "المليجي" قضية التطرف الديني بوصفه طريقة يتعامل بها المراهق مع اضطرابه الداخلي والدوافع غير الواعية (الجنسية على الأخص) بطريقة مقبولة اجتماعياً، بينما ألمح إلى أنه قد يتخذ أشكالاً مثل السوداوية التي تتجلى في الصلاة بشكل متواصل^{٩٣}. في معرض نقاشه "للمراهق الشاذ"، رسم "المليجي" صورة للفرد وهو يخوض حرباً ضد ذاته الإنسانية السلبية محاولاً التغلب على دوافعه الجنسية عن طريق الزهد. وعبر استحضار صورة "الصوفي" في غمار حالة النشوة وفناء الذات، شبه "المليجي" استجابات المراهق تلك بصورة متطرفة من المرض الديني^{٩٤}. ومستشهداً بأمثال "الغزالي" و"أوغسطين"، جادل "المليجي" بأنه من الممكن فهم عمليات التحول الديني تلك (من الفجور إلى التقوى أو من الشك إلى الإيمان) بوصفها نتاجاً لمركبات شعورية وصراعات لاواعية يتم حلها عن طريق التجربة الدينية^{٩٥}.

تعرف تلك العملية العسيرة -التي صورها "المليجي" بأنها شبيهة بالمرض النفسي- باسم "جهاد النفس" في التراث الصوفي، حيث ينظر إلى بعض سمات النفس بوصفها عدواً ينبغي محاربتها^{٩٦}. في سلسلة من المقالات بقلم "السيد أبو الوفا الغنيمي التفتازاني"، الشيخ الشاب للطريقة الغنيمية الخلواتية، جرت صياغة النقاش حول مسألة جهاد النفس بمصطلحات سيكولوجية^{٩٧}. ناقش "التفتازاني" منشأ جهاد النفس في عمليتي كبت الغرائز والتسامي بها^{٩٨}. وما يسترعي الانتباه، إسهابه في مناقشة ما أسماه الميل النفسي نحو التصوف لدى المتصوفين. ومستخدماً الأمثلة نفسها -الغزالي والأفغاني- التي استخدمها "المليجي" و"البطراوي"، قام "التفتازاني" بتعريف الميل إلى التصوف، إلى حد كبير، انطلاقاً من الأزمة الوجودية، والحالات الوجدانية مثل الشك، والقلق، والاكتئاب، والرغبة في معرفة حقيقة الوجود^{٩٩}. لقد جرت صياغة هذا التحليل في إطار النظرية السيكولوجية الحديثة إلى درجة أن "التفتازاني" أشار إلى أن الصدمات النفسية المروعة كثيراً ما تكون هي السبب وراء النزوع إلى التصوف^{١٠٠}. من خلال المماثلة بين علاقة الشيخ بالمريد من ناحية والطبيب النفسي بالمريض من ناحية أخرى، أشار

"التفتازاني" إلى أن الرغبات والأفكار اللاواعية من المفترض أن تكون محل تحليل ونقاش بين الشيخ والمريد، ومن ثم فهي علاقة مداواة للروح. وبحسب "التفتازاني"، فإن عملية تهذيب النفس التي ينجزها المبتدئ الصغير مع الشيخ تستلزم كبت الغرائز الجنسية التي يتم الكشف عنها عن طريق التأمل الداخلي. وقد جادل بأن المتصوف يهدف إلى كبت الميول المتعارضة مع المبادئ الأخلاقية والروحية السامية للوجود الأخلاقي. كان إذن ينظر إلى الكبت، في هذا الطرح، بوصفه جانباً سيكولوجياً إيجابياً من حياة المراهق.

وهكذا يكون لدينا ثلاث طرق لفهم حالة الاضطراب الوجودي التي يعاني منها المراهق، ترتبط كل واحدة منها برؤية متميزة للدين. اقترح "البطراوي" تحولاً نحو الدين والعلم، في مقابل علم النفس، بوصفه حلاً للاضطرابات التي يعاني منها المراهق. أما "المليجي" فقد نظر إلى الدين، ومن ثم الشك الديني، بوصفه ظاهرة ثانوية مشتقة، أى يمكن اختزالها إلى حالة من حالات النفس (psychological state)، ومن ثم طرح علم النفس بوصفه الأداة الرئيسية لفهم اضطرابات المراهقة. أما بالنسبة إلى "التفتازاني"، خلافاً للآخرين، لم يكن ثمة تنافر بين النظر إلى نزعة التدين في فترة المراهقة، بوصفها حالة من حالات النفس، وطريقاً يقود إلى الوجود الأخلاقي والاتحاد بالمقدس، في آنٍ معاً.

بيد أن الاختلافات بين تلك الكتابات تشي بما تنطوي عليه من تشابه ضمني. كانت الكتابات الإسلامية التي تناولت علم نفس المراهق والشباب مشابهة بشكل ملحوظ لنظيرتها في مجال العلوم الاجتماعية في تأكيدها على الدوافع الجنسية اللاواعية الطاغية، التي تهدد بالإخلال بتوازن النفس لدى المراهق. في كثير من الحالات، لعب تهذيب النفس، بوصفه وسيلة إسلامية للتحكم في الجنسية، دوراً مكماً لعلم النفس. على سبيل المثال، بإمكاننا أن نربط فكرة تهذيب النفس أو المجاهدة النفسية عند الصوفيين، أو إن شئنا الدقة، أن نترجمها، إلى فكرة التسامي عند فرويد -لكن نصل إلى النتائج الإيجابية لأشكال معينة من الكبت. وهكذا لم تكن الأخلاق الفرويدية الحداثية متناقضة مع الخطاب الإسلامي، إنما، في واقع الأمر، مكملة له.

خاتمة

مالت النقاشات التي تناولت قضية الشباب في مصر القرن العشرين إلى التركيز على العلاقة بين الشباب، أو الخطابات عن الشباب، من ناحية، والنزعة القومية والهوية الوطنية من ناحية أخرى، وأكدت، على سبيل المثال، على أهمية التاريخ الاجتماعي للحركة الطلابية بالنسبة إلى السياسات الوطنية والنضالات السياسية. وفي المقابل، حاولت هنا أن أسلط الضوء على أنماط جديدة لإنتاج المعرفة وتكوين أنماط جديدة من الذوات، مثل "المراهق" الذي جرى

اصطناعه عند نقطة تقاطع الدوافع الجنسية اللاواعية والاضطراب الوجودي. يعتبر التنوع الهائل في الشخصيات المتفردة التي نشأت عن التشكيلات التخصصية الأكاديمية مثل علم النفس، من نواحٍ كثيرة، مألوفاً -"الغيري الجنسية"، "الحدث الجانح"، و"المراهق" المسكون بالقلق. لقد سار تطور علم نفس المراهق في مصر ما بعد الحرب جنباً إلى جنب مع عملية إنتاج ذوات معيارية، أخلاقية، غيرية الجنسية، متشكلة بتأثير النوع. بيد أن تلك الفئات تطلبت، كشرط أساسي لإمكان وجودها، بناء وقمع أخرية غيرها من الصور المهمشة، مثل المراهق "المنحرف" جنسياً، و"الكلاب الضالة" في المناطق الشعبية بالقاهرة، والصوفي "المفرط" في التقوى. إن تلك الصور للآخرية، التي جرى قمعها على هوامش الخطاب العام، قد وفرت أيضاً إمكان وجود فئات للتماهي، قوضت مفردات الخطاب العام وأظهرت عجزه عن حبس الذات وحصرها في هيئة نتاج متجانس لممارساته الانضباطية ومقولاته المعرفية.

هوامش:

شكر وعرافان:

أتوجه بالشكر إلى "بث بارون" (Beth Baron)، "سارة برسلد" (Sara Pursley)، والمراجعين من فريق (IJEMS)، على ملاحظاتهم المفيدة والنقدية، وإنني مدينة بشكل خاص لـ"بول عمار" (Paul Amar)، "أبيجل بوجس" (Abigail Boggs)، "مروة الشاكري"، "سميرة حاج"، "سعاد جوزيف"، و"حنان خلوصي" على ما قدموه لي من مقترحات ثاقبة ونقد بناء. كما أتوجه بالشكر إلى أعضاء "مجموعة عمل الأسر العربية" على ما بذلوه من جهد فكري، وما قدموه لي من تشجيع ودعم. ظهر هذا البحث إلى النور بفضل منح من "مؤسسة فورد" و"المركز الدولي لبحوث التنمية".

¹ Ragui Assad and Ghada Barsoum, "Youth Inclusion in Egypt: In Search of 'Second Chances,'" *Middle East Youth Initiative*, Working Paper No. 2 (Wolfensohn Center for Development and Dubai School of Government, November 2007).

من أجل نظرة شاملة ممتازة على القضايا المعاصرة التي تواجه الشباب المسلم والشرق أوسطي، انظر/انظري المصادر الآتية:

Ted Swedenburg, "Imagined Youths," *Middle East Report* 37 (2007): 4–11; *Being Young and Muslim: New Cultural Politics in the Global South and North*, ed. Linda Herrera and Asef Bayat (Oxford:Oxford University Press, 2010); and Marilyn Booth, "Arab Adolescents Facing the Future: Enduring Ideals and Pressures to Change," in *The World's Youth: Adolescence in Eight Regions of the Globe*, ed. B. Bradford Brown, Reed W. Larson, and T. S. Saraswathi (Cambridge: Cambridge University Press, 2002).

² Swedenburg, "Imagined Youths," 11

³ Mona Abaza, "Perceptions of 'Urfi Marriage in the Egyptian Press," *ISIM Newsletter* 7 (2001): 20–21; Diane Singerman, "The Economic Imperatives of Marriage: Emerging Practices and Identities among Youth in the Middle East," *The Middle East Youth Initiative*, Working Paper No. 6 (Wolfensohn Center for Development and Dubai School of Government, September 2007); Assad and Barsoum, "Youth Inclusion in Egypt."

وقد نظمت بالفعل المحكمة الدستورية العليا، عام ٢٠٠٩، ندوة دولية عن الزواج العرفي، انظر/انظري المصدر الآتي:

"Married or Maybe Not," *Al-Ahram Weekly Online* (December 2009), <http://weekly.ahram.org.eg/2009/976/feature.htm> (accessed 25 June 2011).

⁴ On AFWG, see <http://www.afwg.info/> and the special issue on War and Transnational Arab Families, *Journal of Middle East Women's Studies* 5 (2009).

^٥ يعكس استخدامي لكلمتي "شباب" و"المراهقة"، بالتناوب، هذا الاستخدام المزدوج في الكتابات الصحافية السائدة وفي أدبيات علم النفس، على الترتيب.

^٦ من أجل نظرة نقدية شاملة على دراسات الذكورة فيالشرق الأوسط التينتشير إلى سبل جديدة في البحث والاستقصاء، انظر/انظري المصدر الآتي:

Paul Amar, "Middle East Masculinity Studies: Discourses of 'Men in Crisis,' Industries of Gender in Revolution," *Journal of Middle East Women's Studies* 7 (2011): 36–70.

⁷ Nikolas Rose, *Governing the Soul: The Shaping of the Private Self* (London and New York: Free Association Books, 1999), 125.

يشير روز إلى الارتفاع المتزايد في عمليات الإخضاع والمراقبة التي تتعرض لها أسر الطبقة العاملة في ظل دولة الرفاه.

^٨ كما لاحظ ويلسون جاكوب: "ظلت عملية تشكيل الشباب في هيئة ذاتٍ تشكل تحدياً مستمراً لقدرة السرديات على تمثيلهم".

"Wilson Chacko Jacob, *Working Out Egypt: Effendi Masculinity and Subject Formation in Colonial Modernity, 1870–1940* (Durham, N.C.: Duke University Press, 2011), 115.

للاطلاع على مسارد إثنوغرافية عن شباب الشرق الأوسط انظر/انظري المصادر الآتية:

Roxanne Varzi, *Warring Souls: Youth, Media, and Martyrdom in Post-Revolutionary Iran* (Durham, N.C.: Duke University Press, 2006); and Stefania Pandolfo, "'The Burning': Finitude and the Politico-theological Imagination of Illegal Migration," *Anthropological Theory* 7(2007): 329–63.

⁹ Anne Gorsuch, *Youth in Revolutionary Russia* (Bloomington & Indianapolis, Ind.: Indiana University Press, 2000); Tracy Koon, *Believe, Obey, Fight: Political Socialization of Youth in Fascist Italy 1922–1943* (Chapel Hill, N.C.: University of North Carolina Press, 1985); Walter Lacquer, *Young Germany: A History of the German Youth Movement* (New Brunswick, N.J.: Transaction Books, 1984); Richard I. Jobs, *Riding the New Wave: Youth and the Rejuvenation of France after the Second World War* (Stanford, Calif.: Stanford University Press, 2007); Leerom Medovoi, *Rebels: Youth and the Cold War Origins of Identity* (Durham, N.C. and London: Duke University Press, 2005); and Leyla Neyzi, "Object or Subject? The Paradox of Youth in Turkey," *International Journal of Middle East Studies* 33 (2001): 411–32.

¹⁰ Israel Gershoni and James Jankowski, *Redefining the Egyptian Nation, 1930–1945* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995), 20.

تلك الرطانة "تدين نقائص" الجيل السابق، بينما تشيد بـ"ما تتمتع هي به من كفاءة أعلى".

¹¹ انظر/انظري العدد ٤٤ من مجلة الهلال المخصص بكامله للشباب (١ أبريل ١٩٣٦)، الذي يضم "مسئوليات الشباب" بقلم طلعت حرب، الهلال ٤٤ (١٩٣٦): ٦٠٩. انظر/انظري أيضاً أحمد حسن الزيات، "تهضة الشباب"، الرسالة ١ (١٥ نوفمبر ١٩٣٣): ٣-٤، سلامة موسى؛ "حركة الشباب"، الرسالة ١ (١٥ نوفمبر ١٩٣٣): ١٥؛ أ. الجابري، "الحركات الفكرية للشباب العربي"، الرسالة ٢ (٢٠ أغسطس ١٩٣٤): ١٣٧٧-٣٧٩، مصطفى صادق الرافعي، "يا شباب العرب"، الرسالة ٤ (٢٢ يونيو ١٩٣٦): ١٠٠١-١٠٠٢؛ خليل هندواوي، "رسالة الشباب في الحاضر"، الرسالة ٥ (٣١ مايو ١٩٣٧): ٩٠٧-٩٠٨؛ دكتور زكي مبارك، "شبان اليوم الجديد في مصر المحروسة"، الرسالة ١٠ (١٠ أغسطس ١٩٤٢): ٧٧٦-٧٩.

¹² لإجراء المزيد من البحث التاريخي سنحتاج إلى تحليل عملية نشوء الخطاب عن الشباب في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهي مهمة أتركها للدراسات التي ستجرى في المستقبل.

¹³ إلى درجة أن علي إسماعيل شكك في المساواة الضمنية بين "الشباب" و"الطلبة"، وطالب بتوسيع نطاق الفئة الأولى لتشمل الموظفين والأطباء وغيرهم من الشباب العامل. علي إسماعيل، "هلموا يا شباب"، الرسالة ٥ (١٤ يونيو ١٩٣٧): ٩٩٤.

¹⁴ Ahmed Abdalla, *The Student Movement and National Politics in Egypt, 1923–1973* (Cairo and New York: The American University in Cairo Press, 2008), 24–34; Ron Shaham, *Family and the Courts in Modern Egypt* (Leiden: E. J. Brill, 1997), 3.

¹⁵ Donald Reid, *Cairo University and the Making of Modern Egypt* (Cambridge: Cambridge University Press, 1990), 127.

¹⁶ Lucie Ryzova, "Egyptianizing Modernity through the 'New Effendiya,'" in *Re-Envisioning Egypt, 1919–1952*, ed. A. Goldschmidt, A. Johnson, and B. Salmoni (Cairo: American University in Cairo Press, 2005), 147–49.

¹⁷ أمير بقطر، "زوابع الشباب المصري"، الهلال ٤٤ (١ أبريل ١٩٣٦): ٦٢٨-٣٤. طرح أحمد الزيات، صاحب مجلة الرسالة ورئيس تحريرها، حجة مماثلة محذراً الشباب من الفاشية والماركسية، وهما أيديولوجيتان غير ملائمتان للأمم الناهضة. "إلى أين يتجه الشباب"، الرسالة ٥ (٣ مايو ١٩٣٧): ٧٤٦-٤٨.

¹⁸ Afaf Lutfi Al-Sayyid Marsot, *A Short History of Modern Egypt* (Cambridge: Cambridge University Press, 1985), 95.

¹⁹ Abdalla, *The Student Movement and National Politics in Egypt*, 39–43; Haggai Erlich, *Students and University in Twentieth Century Egyptian Politics* (London: Frank Cass Publishers, 1989), Ch. 3; and idem, "Youth and Arab Politics: The Political Generation of 1935–1936," in *Alienation or Integration of Arab Youth*, ed. Roel Meijer (Richmond, U.K.: Curzon Press, 2000), 47–69.

فسر إيريك مظاهرات الطلبة على أنها مؤشر على مشكلة الخريجين العاطلين، بينما جادل عبدالله بأنه من الممكن أن نربط بطريقة مثمرة بين حركة الطلبة وقضايا الاستقلال الوطني والتطور السياسي والاجتماعي. وقد انتقد ولسون جاكوب تلك النوعية من الأطروحات لكونها تختزل الشباب إلى مجرد قصة للصيرورة الوطنية. حتى عندما "يجرى التعامل معهم بوصفهم قوة سياسية قائمة بذاتها، يظل سرد القصة منطلقاً من قضية النضال الوطني، وهكذا. كان التأسيس السردى والعملى لفئة الشباب عملية سياسية فيجوهرها، تداخلت منذ انطلاقتها مع سرديات أخرى" (*Working Out Egypt*, 115). لقد شددت أطروحة جاكوب المعقدة على الأخلاقى والجمالى، فضلاً عن السياسى فيعملية الإنتاج الأدائى للذوات المصرية الذكورية الحديثة. وما أسماه "الذكورية الأندنية" (ضرب من الذكورية البرجوازية) جرى بناؤه جزئياً عبر الثقافة الجسمانية، التلعبت دوراً مهماً فيالحياة الوطنية. أركز اهتمامى هنا على تتبع كيفية قيام خطابات العلوم الاجتماعية بتصوير الشباب بوصفهم فئة سيكولوجية حتى وإن كان المعلقون قد اعتبروا أزمة ١٩٣٥ و ١٩٣٦ سياسية فيالمقام الأول. ومن ثم، لم يكن السياسى فئة خالصة قط، إنما متقاطعة دوماً مع أنماط أخرى من الصيرورة.

²⁰ Erlich, *Students and University in Twentieth Century Egyptian Politics*, 127.

²¹ Abdalla, *The Student Movement and National Politics in Egypt*, 42.

²² يلاحظ ريزوفا أن الأجيال الأكبر سناً اعتبروا معاهدة ١٩٣٦ انتصاراً، في حين اعتبرها الجيل الأصغر خيانة.

"Egyptianizing Modernity," 163n99.

²³ Erlich, *Students and University in Twentieth Century Egyptian Politics*, 133.

²⁴ انظر/انظري سلامة موسى، "حركات الشباب"، ١٥ و"ضيعة الشباب في مصر"، الرسالة ١٦ (٦ ديسمبر ١٩٤٨): ٣٨٥-١٣٨٤؛

James Jankowski, *Egypt's Young Rebels: "Young Egypt," 1932–1952* (Stanford, Calif.: Hoover Institution Press, 1975); Gershoni and Jankowski, *Redefining the Egyptian Nation*, 20–22; and Jakob Skovgaard-Petersen, "The Discovery of Adolescence in the Middle East," in *Youth and Youth Culture in the Contemporary Middle East*, ed. Jorgen Baek Simonsen (Aarhus, Denmark: Aarhus University Press, 2005), 21–34.

²⁵ Abdalla, *The Student Movement and National Politics in Egypt*, 43.

²⁶ Abdalla, *The Student Movement and National Politics in Egypt*, Ch. 3; Erlich, *Students and University in Twentieth Century Egyptian Politics*, Ch. 3

²⁷ الهلال (١٨٩٢)، أسسها جورجى زيدان، وكانت إحدى أوسع الدوريات انتشاراً في الشرق الأوسط في ذلك الوقت. للاطلاع على العدد المخصص للشباب، انظر/انظري الهلال ٤٤ (١ أبريل ١٩٣٦).

^{٢٨} الرسالة (١٩٣٣-٥٢) مجلة أدبية رأس تحريرها أحمد حسن الزيات (١٨٨٥-١٩٦٨). كانت كلتا المجلتين جزءاً من حالة الزخم في مجال المطبوعات الثقافية في الفترة ما بين الحربين. شأن الهلال، كانت الرسالة مجلة أسبوعية ذات شعبية هائلة، إذ كان يجري توزيعها وتداولها على نطاق واسع في العديد من المدن العربية، وكانت موجهة بصفة خاصة إلى الجمهور الجديد من الطبقة الوسطى، أو الأفندية، وبخاصة الجيل الأصغر سنًا. في حين كان البعض يقارن بين الرسالة بنبرتها العلمانية الصريحة، وبين الهلال بوصفها جزءاً من الأدبيات الإسلامية الأوسع نطاقاً، تشابهت المجلتان بشكل ملحوظ في تناولهما قضية الشباب. إذ أكدت المجلتان كلتاهما على دور الشباب في خلق ثقافة وطنية موحدة وتدعيم أهداف النزعة الوطنية السياسية والاقتصادية.

On *al-Risala*, see Gershoni and Jankowski, *Redefining the Egyptian Nation*, 63-65, 69; for a very different view of print culture and Egyptian modernity, see Jacob, *Working Out Egypt*, 67-71

^{٢٩} الزيات، "إلى أين يتجه الشباب؟" "الزحف الاجتماعي"، الرسالة ٥ (١٠ مايو ١٩٣٧): ٧٨٨، رسالة إلى رئيس التحرير (٣١ مايو ١٩٣٧): ٩٠٨، "السياسة فتوة هذا العصر"، الرسالة ٥ (١٠ مايو ١٩٣٧): ٧٨٩، "السياسة والروح العام"، الرسالة ٥ (١٧ مايو ١٩٣٧): ٨٢٦، مصطفى كامل، "واجب الكتاب والمفكرين"، الرسالة ٥ (٢٤ مايو ١٩٣٧): ٨٧٠، مختار يونس، "اهتمام الشباب بالشئون العامة"، الرسالة ٥ (٢٤ مايو ١٩٣٧): ٨٧٠.

^{٣٠} وعلى المنوال نفسه، يتصور جين وجون كوماروف فكرة تحويل المخاوف بشأن الطبقات إلى مخاوف بشأن الأجيال، حيث يجري إسقاط القلق بشأن إعادة الإنتاج الاجتماعي على الشباب بوصفهم تجسيداً للمستقبل.

Jean and John Comaroff, "Millennial Capitalism: First Thoughts on a Second Coming," *Public Culture* 12 (2000): 291-343.

^{٣١} أستحضر هنا تفرقة جاك رانسييه المفيدة بين "السياسة" (politics) و"فرض/حفظ النظام" (policing). لا يحيل "فرض النظام" إلى جهاز الدولة بل يحيل بالأحرى إلى "مجموعة من الإجراءات يتم من خلالها تجميع الجماعات وإرضائها، وتنظيم السلطات، وتوزيع الأماكن والأدوار، وأنساق إضفاء الشرعية على هذا التوزيع" (٢٨). تقف السياسة من مفهوم فرض النظام موقف العداء. "النشاط السياسي هو كل ما ينقل جسداً من مكان مخصص له، أو يغير مقصد مكان ما. فهو يبرز للعيان ما لا مصلحة له في الظهور، ويجعلنا نسمع خطاباً حيث لم يكن ثمة مكان سوى للضوضاء...." (٣٠).

Jacques Rancière, *Dis-agreement: Politics and Philosophy*, trans. Julie Rose (Minneapolis, Minn., and London: University of Minnesota Press, 1999).

^{٣٢} أحمد أمين، "مشاكل الشباب وكيف تعالج"، الهلال ٤٤ (١ أبريل ٣٦): ٦٢١-٢٥.

^{٣٣} أمين، "مشاكل الشباب". انظر/انظري شرحه، "مقياس الشباب"، الرسالة ٤ (مايو ١٩٣٦): ٧٢٣-٢٤. اتساقاً مع التأكيد على دور الجامعة في تعزيز الوحدة الوطنية، انتقد أمين سياسة الشيع والأحزاب، مشيراً إلى أنه "من الخطأ الشديد أن يتورط محاضر جامعي، أو عميد، أو مدرس في التحزب السياسي بما من شأنه أن يؤثر على سلوكه - فقد يتحيز للطلاب المنتمين إلى حزبه ويسيء معاملة المنتمين للأحزاب الأخرى.... إن هذا من شأنه أن يحطم استقلال الجامعة ويفسد أخلاق الطلبة والمدرسين على حد سواء".

Ahmad Amin, "University and Politics," cited in Abdalla, *The Student Movement and National Politics in Egypt*, 249–50n27.

^{٣٤} وما يعد إضافة مهمة من جانب أمين قوله إن مثل تلك الدراسات يجب أن يتم تكييفها بما يتلاءم مع خصوصية البيئة المحلية، وأن "تتعامل مع أطفالنا وشبابنا" وليس أطفال وشباب أوروبا. أمين، "مشاكل الشباب"، ٦٢٤.

³⁵ Jacques Donzelot, *The Policing of Families*, trans. R. Hurley (New York: Pantheon, 1979).

³⁶ Rose, *Governing the Soul*, 130–33.

³⁷ Ibid., 154.

^{٣٨} للاطلاع على نظرية فوكو عن تقنيات تشكيل الذات، أو "الطريقة التيمن خلالها يقوم الكائن البشرى بتحويل نفسه إلى ذات"، انظر/انظري المصادر الآتية:

Foucault, "The Subject and Power," *Critical Inquiry* 8 (1982): 777–95; *The History of Sexuality, Volume 1: An Introduction*, trans. Robert Hurley (New York: Vintage, 1980); *Ethics: Subjectivity and Truth. Essential Works of Foucault, 1954–1984*, ed. Paul Rabinow, trans. Robert Hurley (New York: New Press 1997). See also Patrick Hutton, "Foucault, Freud, and the Technologies of the Self," in *Technologies of the Self: A Seminar with Michel Foucault*, ed. L. Martin, H. Gutman, and P. Hutton (Amherst, Mass.: University of Massachusetts Press), 121–44.

³⁹ Ian Hacking, *Historical Ontology* (Cambridge, Mass. and London: Harvard University Press, 2002), esp. Ch. 6.

^{٤٠} أعكف حاليًا على كتابة تاريخ خطابات الذاتية (النفسي، الديني، الجنائي) في مصر القرن العشرين، بوصفه جزءًا من مشروع كتاب بعنوان *تنظير الروح (Theorizing the Soul)*.

^{٤١} انظر/انظري سلامة موسى، *العقل الباطن، أو مكنونات النفس*، (القاهرة: الهلال، ١٩٢٨).

^{٤٢} ترجم مصطفى صفوان كتاب فرويد (*Interpretation of Dreams*) إلى العربية عام ١٩٥٨. انظر/انظري: *تفسير الأحلام*، ترجمة مصطفى صفوان ومراجعة مصطفى زيور (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٤). للتعرف على جدالات معاصرة عن التحليل النفسي والإسلام، انظر/انظري المصدر الآتي:

Joseph Massad, "Psychoanalysis, Islam, and the Other of Liberalism," *Umbr(a)* (2009): 43–68.

^{٤٣} دكتور إبراهيم ناجي، "الشباب المصري والمشكلة الجنسية"، *الهلال* ٤٧ (١ نوفمبر ١٩٣٨): ٥٧–٦٠.

^{٤٤} المصدر نفسه.

^{٤٥} انظر/انظري على سبيل المثال، مراجعة مصطفى زيور لكتاب *علم النفس العملي*، في *مجلة علم النفس* ١ (١٩٤٥): ٧٥–٧٨.

⁴⁶ E. Terry Prothro and Levon H. Melikian, "Psychology in the Arab Near East," *Psychological Bulletin* 52 (1955): 303–10; S. E. Farag, "Egypt," in *International Handbook of Psychology*, ed. A. R. Gilgen and C. K. Gilgen (New York: Greenwood Press, 1987), 174–83; Fouad Abou-Hatab, "Egypt,"

in *International Psychology: Views from around the World*, ed. Virginia Sexton and John Hogan (Lincoln, Neb.: University of Nebraska, 1992), Ch. 12.

^{٤٧} يوسف مراد، *مبادئ علم النفس العام*، الطبعة السابعة، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨).

^{٤٨} انظر/انظري يوسف مراد ومصطفى زيور، *مجلة علم النفس* (١٩٤٥): ١٠-١٢. وقد قدمت نقاشاً مطولاً عن كلا المحررين الاثنين وعن المجلة، في "فرويد العربي" (مخطوط غير منشور).

^{٤٩} للاطلاع على عرض عن وضع الشباب في مرحلة ما بعد الحرب، انظر/انظري المصادر الآتية:

Raoul Makarius, *La Jeunesse Intellectuelle d’Egypte au Lendmain de la Deuxieme Guerre Mondiale* (Paris: Mouton & Co., 1960); Abdalla, *The Student Movement and National Politics in Egypt*, Ch. 4-5; and Erlich, *Students and University in Twentieth Century Egyptian Politics*, Ch. 4.

^{٥٠} مراد، "تمهيد لدراسة نفسية المراهق في مصر والأقطار العربية"، *مجلة علم النفس* ١ (١٩٤٥): ١٧٢-٨٢.

^{٥١} مراد، "تمهيد لدراسة نفسية المراهق"، ١٧٢-٧٤.

⁵² Hacking, *Historical Ontology*, 99-114.

حول العلاقة بين الطفولة والجوانية، انظر/انظري:

Carolyn Steedman, *Strange Dislocations: Childhood and the Idea of Human Interiority* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1995).

⁵³ Maurice Debesse, *Comment Etudier les Adolescents; Examen Critique des Confidences Juvéniles* (Paris: F. Alcan, 1937); Irena Wojnar "Maurice Debesse (1903-1998)," *Prospects: The Quarterly Review of Comparative Education* XXXIII (2003): 1-19.

^{٥٤} ثمة أنواع أخرى من الدراسات ركزت على تقديم تقييمات أكثر موضوعية عن المراهقين. انظر/انظري، على سبيل المثال، ماهر كمال، "تقييمات المراهقين والبالغين لشخصية المراهق"، *مجلة علم النفس* ٣ (١٩٤٧): ١٥٢-٤٧؛ عبده ميخائيل رزق، "التدخين بين المراهقين: دراسة موضوعية"، *مجلة علم النفس* ٣ (١٩٤٧): ١٤٤-٤٦؛ زكي صالح، "دراسة استطلاعية حول مشاكل الفتاة المراهقة في المدارس الثانوية"، *مجلة علم النفس* ٧ (١٩٥٢): ٤١٠-١٦.

^{٥٥} أجرى طلبة ماجستير الفلسفة بجامعة فؤاد الأول اختباراً لهذا الاستبيان على مجموعة صغيرة من طلاب المرحلة الثانوية، بنيت توزيعه على جميع المدارس الثانوية والمعاهد البحثية في مصر والعالم العربي. مراد، "تمهيد لدراسة نفسية المراهق"، ١٧٩-٨٢.

^{٥٦} عبد المنعم المليجي، "نفسية المراهق من مذكراته"، *مجلة علم النفس* ٥ (١٩٥٠): ٣٥١-٦٠.

^{٥٧} المصدر نفسه، ٣٥١-٥٢.

^{٥٨} المصدر نفسه، ٣٥٢-٥٣، ٣٥٧.

⁵⁹ عبد المنعم عبد العزيز المليجي، "كيف ينعدم التوافق الاجتماعي"، *مجلة علم النفس* ٢ (١٩٤٦): ١٣١-٤٥.

⁶⁰ Saied Ewies, "Egypt," in *International Handbook of Contemporary Developments in Criminology*, ed.

Elmer Johnson (Westport, Conn.: Greenwood Press, 1983), vol. II, 187-88.

في واقع الأمر أجرى سيد عويس، الذي سيصبح فيما بعد رائد علم الاجتماع في مصر، أول دراساته المتعمقة حالة حدث جانح، كجزء من تدريبه في معهد الخدمة الاجتماعية بالقاهرة. انظر/انظري سيد عويس، *التاريخ الذي أحمله على ظهري*، (القاهرة: دار الهلال، ١٩٨٥). وللاطلاع على تصريح مبكر بشأن اهتمامه بالشباب، انظر/انظري أيضاً "جماعية الانبعاث القومي"، الرسالة ٥ (١٧ مايو ١٩٣٧): ٢٨-٨٢٧.

⁶¹ عباس خضر، "صياغة الشباب في مصر"، الرسالة ١٦ (٦ ديسمبر ١٩٤٨): ١٣٨٤-٣٨٥. في سياق مصر المعاصرة، استعرض بول عامر أهمية ما أسماه "قنبلة الذكورة الموقوتة"، وهو خطاب مرتبط على النوع والطبقة يطرح موضوع جنسانية ذكور الطبقة العاملة باعتبارها إشكالية، ويستهدفها بوصفها آلية سيطرة في خدمة الدولة الأمنية.

"Turning the Gendered Politics of the Security State Inside Out?" *International Journal of Feminist Politics* 13 (2011): 299-329.

⁶² Ibid.; Jacob, *Working Out Egypt*, Ch. 4

⁶³ شددت العديد من المقالات على التشكيل النفس-جنسي للحدث الجانح، بالتركيز على الدوافع الجنسية، والحلول غير الصحيحة لعقدة أوديب، وزنا المحارم. انظر/انظري على سبيل المثال، ماهر كمال، "دراسة نموذجية لجناح الأحداث ١"، *مجلة علم النفس* ٤ (١٩٤٨): ١٨٥-٢٠٠، و"دراسة نموذجية لجناح الأحداث ٢"، *مجلة علم النفس* ٤ (١٩٤٩): ٢٢-٤٠٧.

⁶⁴ المليجي، "نفسية المراهق من مذكراته"، ٣٥٧-٥٨.

⁶⁵ عبد العزيز عبد المنعم المليجي، "الشعور الديني عند المراهق"، *مجلة علم النفس* ٣ (١٩٤٧): ١٩٣-٢٠٦.

⁶⁶ د.محمد زكي الشافعي، "مركب النقص وأثره في حياة الشباب"، *الهلال* ٤٤ (١ أبريل ١٩٣٦): ٦٧٨-٨٢. المليجي، "نفسية المراهق من مذكراته".

⁶⁷ ناجي، "الشباب المصري والمشكلة الجنسية".

⁶⁸ Reid, Cairo University, 105-107.

⁶⁹ عبده ميخائيل رزق، "في التربية الجنسية"، *مجلة علم النفس* ٦ (١٩٥٠): ٩١-٩٨.

⁷⁰ Makarius, *La Jeunesse Intellectuelle d'Egypte*, 49-53.

⁷¹ Hanan Kholoussy, "Monitoring and Medicalising Male Sexuality in Semi-Colonial Egypt," *Gender and History* 22 (2010): 677-91. For debates on bachelorhood see idem, *For Better, For Worse: The Marriage Crisis that Made Modern Egypt* (Stanford, Calif.: Stanford University Press, 2010).

⁷² للاطلاع على مناقشة حول التباعد بين الممارسات الاجتماعية الفعلية والخطابات ذات النزعة الأخلاقية والطبية التي تناولت ظاهرة الدعارة، انظر/انظري:

Hanan Hammad, "Between Egyptian 'National Purity' and 'Local Flexibility': Prostitution in al-Mahalla al-Kubra in the First Half of the 20th Century," *Journal of Social History* 44 (2011): 751-83.

وعن أهمية الزواج في تنظيم الجنسية، وخطورة العزوبية الطويلة، انظر/انظري المقال المطول المؤلف من ثلاثة أجزاء في الرسالة بقلم علي الطنطاوي، "المثل الأعلى للشباب المسلم"، الرسالة ٦ (٧ فبراير ١٩٣٨): ٢١٨-٢١. "المثل الأعلى للشباب المسلم"، الرسالة ٦ (١٤ فبراير ١٩٣٨): ٢٥٢-٥٤. "المثل الأعلى للشباب المسلم"، الرسالة ٦ (٢١ فبراير ١٩٣٨): ٢٩٦-٩٨.

⁷³ Wilson C. Jacob, Review of Joseph Massad, *Desiring Arabs*, H-Levant, H-Net Reviews (September 2009), <http://www.hnet.org/reviews/showrev.php?id=25004> (accessed 25 June 2011).

ثمة حاجة ملحة إلى الدراسات الجينالوجية التاريخية المركبة حول النوع الاجتماعي والجنسانية في السياق الشرقي أوسطي كما في دراسة أفسانح أجمادي الآتية:

Sex in Change: Configurations of Sexuality and Gender in Contemporary Iran. See also idem, "Transing and Transpassing across Sex-Gender Walls in Iran," *WSQ: Women's Studies Quarterly* 36 (2008): 23-42.

وللاطلاع على مناقشة لافتة عن الطريقة التي دخلت بها المقولة الغربية عن "الجنسانية المثلية" إلى الثقافة الصينية، وما صاحبها من إعادة ترتيب معرفي للدلالة الاجتماعية للرجبة الجنسية المثلية في الصين الحديثة، انظر/انظري:

Howard Chiang, "Epistemic Modernity and the Emergence of Homosexuality in China," *Gender & History* 22 (November 2010): 629-57.

⁷⁴ يوسف مراد، *سيكولوجية الجنس*، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٤).

⁷⁵ *شفاء النفس*، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٤٣).

⁷⁶ يناقش جاكوب الكتابات التي تناولت الجنسية في فترة ما بين الحربين بشكل موجز في سياق مجلة *الثقافة الجسدية*، وبالأخص في الكتابات الطبية للدكتور صبرى جريس (Jacob, *Working Out Egypt*, 172-79). بيد أن كتابات صبرى في منتصف الأربعينيات كانت في أغلبها تتناول المرض العقلي في مجلة *علم النفس*. وقد ناقش سلامة موسى جنسانية الشباب بشكل مستفيض، في الأغلب من خلال مفاهيم نمطية مثل الكبت والفصل بين الجنسين والعادة السرية. انظر/انظري على سبيل المثال، سلامة موسى، *أحاديث إلى الشباب*، (القاهرة: سلامة موسى للنشر والتوزيع، ١٩٥٧)، وأيضًا مناقشة جوزيف ماساد حوله في:

Massad, *Desiring Arabs* (Chicago and London: University of Chicago Press, 2007), 128-41.

^{٧٧} مراد، سيكولوجية الجنس، ٨٩-٩٤.

^{٧٨} استمدت مقاربات التحليل النفسي الجديد أو المحدث عناصرها الرئيسية من التحليل النفسي الفرويدي، لكنها ابتعدت عن المواقف الأرتوذكسية بطرق متنوعة، فقد اشتملت على مدارس مثل مدرسة العلاقات بالموضوع (object-relations)، وعلم نفس الذات/الأنا (ego psychology)، والفرويدية الجديدة.

^{٧٩} للاطلاع على انتقاداته لفرويد، انظر/انظري مراد، **شفاء النفس**، ٩٠-١٠١. وأيضًا "الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي"، **مجلة علم النفس** ٢ (فبراير ١٩٤٧): ٤١-٤٢٥.

^{٨٠} مراد، "الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي".

^{٨١} مراد، سيكولوجية الجنس، ٩٣.

^{٨٢} "س. ع.", **مجلة علم النفس** ٤ (١٩٤٨): ١٣١.

^{٨٣} مصدر سابق، ١٣١-١٣٨. يناقش هنري أبلوف ما تتسم به أفكار فرويد بشأن الجنسانية المثلية من تعقيد، وافتقاره إلى الحس الأخلاقي، ورفضه لأن يتعامل معها بوصفها مرضًا، بالإضافة إلى الموقف الآخر الذي يقع على طرف النقيض الذي اتخذه التحليل النفسي الأمريكي. انظر/انظري:

"Freud, Male Homosexuality, and the Americans," in *The Lesbian and Gay Studies Reader*, ed. H. Abelove, A.B. Barale, D. Halperin (London: Routledge, 1993), 381-93.

^{٨٤} كما لاحظت أفسانيح ناجمبادي في السياق الإيراني، فإن ما يسمى "أزمة الشباب" كثيرًا ما يكتف أسئلة حول الدور الصحيح للجنسانية، والزواج، والحب الرومانسي، والشباب في المجتمع.

Najmabadi, "The Morning After: Travail of Sexuality and Love in Modern Iran," *International Journal of Middle East Studies* 36 (2004): 367-85.

^{٨٥} محمد عواد محمد، "نفسية الشباب المصري"، **الهلال** ٤٤ (١ أبريل ١٩٣٦): ٤٩-٦٤٣.

^{٨٦} الشيخ مصطفى عبد الرزاق، "خطرات الشك في صدور الشباب"، **الرسالة** ٦ (٢١ مارس ١٩٣٧): ٤٤٧. منصور فهمي، "طموح الشباب"، **الرسالة** ٩ (١ ديسمبر ١٩٤١): ٤٥٠-١٤٤٨.

^{٨٧} إبراهيم البطراوي، "قضية الشباب بين العلم والفلسفة"، **الرسالة** ١٧ (٢٣ مايو ١٩٤٩): ٨٩١-٩٣. الجزء الثاني، **الرسالة** ١٧ (٣٠ مايو ١٩٤٩): ٩١-٢٠. الجزء الثالث، **الرسالة** ١٧ (٦ يونيو ١٩٤٩): ٤٩-٩٤٨. الجزء الرابع، **الرسالة** ١٧ (١٣ يونيو ١٩٤٩): ٨٩١-٩٣. الجزء الخامس، **الرسالة** ١٧ (٢٠ يونيو ١٩٤٩): ١٠٠٤-١٠٠٥.

^{٨٨} البطراوي، "قضية الشباب بين العلم والفلسفة"، الجزء الأول، ٨٩٢.

^{٨٩} البطراوي، "قضية الشباب بين العلم والفلسفة"، الجزء الثاني، ٩٤٩.

^{٩٠} البطراوي، "قضية الشباب بين العلم والفلسفة"، الجزء الثالث، ١٠٠٥.

^{٩١} المليجي، "الشعور الديني عند المراهق"، ١٩٩-٢٠٢.

^{٩٢} المصدر السابق، ١٩٣-٩٤.

^{٩٣} المصدر السابق، ١٩٧-٩٨.

^{٩٤} المصدر السابق، ١٩٨.

^{٩٥} المصدر السابق، ٢٠١-٢٠٢.

^{٩٦} للاطلاع على تنظيم بارع لمفهوم جهاد النفس، انظر/انظري المصدر الآتي:

Stefania Pandolfo, "'Soul choking':Maladies of the Soul, Islam, and the Ethics of Psychoanalysis," *Umbr(a)* (2009): 80-90.

^{٩٧} أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، "سيكولوجية التصوف"، الجزء الأول، *مجلة علم النفس* ٥ (١٩٤٩): ٢٩١-

٩٦؛ "سيكولوجية التصوف"، الجزء الثاني، *مجلة علم النفس* ٥ (١٩٥٠): ٣٧٧-٨٤. كان التفتازاني (١٩٣٠-

٩٥) عالمًا وأستاذًا في الفلسفة الإسلامية، شغل منصب عميد وأستاذ فلسفة في جامعة القاهرة. "د. أبو الوفا

التفتازاني"، مصطفى نجيب، *أعلام مصر في القرن العشرين* (قليوب، مصر: الأهرام، ١٩٩٦)، ٨٣.

^{٩٨} التفتازاني، "سيكولوجية التصوف"، الجزء الثاني، ٣٨٤. وهو يستشهد هنا بكتاب ليوسف مراد، *مبادئ علم*

النفس العام.

^{٩٩} التفتازاني، "سيكولوجية التصوف"، الجزء الأول.

^{١٠٠} المصدر السابق، ٢٩٣.